رفع
المسهم
غفر الله له ولوالديه

تفسير الشهرستاني

المسمى

مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار

تأليف

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
(المتوفى ٥٤٨ هـ)

المجلد الاول

تحقيق وتعليق
محمد علي آذرشب
استاذ جامعة طهران

رفع
المسهم

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه
2011-02-25
www.tafsir.net
www.almosahm.blogspot.com

تفسير الشهرستاني

المسمى

مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار

تأليف

محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
(المتوفى ٥٤٨ هـ)

المجلد الاول

تحقيق وتعليق

محمد علي آذرشب
استاذ جامعة طهران

رفع
المساهم
غفر الله له ولوالديه

سرشناسه	شهرستانی، محمدبن عبدالکریم، ۴۷۹؟ - ۵۴۸؟ ق.
عنوان قراردادی	مفاتیح الاسرار و مصابیح الابرار.
عنوان و نام پدیدآور :	تفسیر الشهرستانی المسمی مفاتیح الاسرار و مصابیح الابرار / تألیف محمدبن عبدالکریم الشهرستانی؛ تحقیق و تعلیق محمدعلی آذرشب.
مشخصات نشر	تهران: مرکز البحوث و الدراسات للتراث المخطوط، ۱۳۸٦.
مشخصات ظاهری	۲ ج. : نمونه.
فروست	میراث مکتوب: ۱٦٦. علوم و معارف اسلامی؛ ٥٤.
شابک	دوره: 978-964-8700-58-9؛ ج.۱: 978-964-8700-59-6؛ ج ۲: 978-964-8700-43-5
وضعیت فهرست‌نویسی	فیپا
یادداشت	عربی.
یادداشت	کتابنامه.
موضوع	تفاسیر اهل سنت - قرن ٦ ق.
موضوع	تفاسیر عرفانی - قرن ٦ ق.
شناسه افزوده	آذرشب، محمدعلی، ۱۳۲٦ - ، محقق و حاشیه‌نویس.
شناسه افزوده	مرکز پژوهشی میراث مکتوب.
رده‌بندی کنگره :	BP ۹٤ / ٥ / ۹ ش ۹ م ۷ ۱۳۸٦
رده‌بندی دیویی :	۲۹۷ / ۱۷۲٤
شماره کتابشناسی ملی :	۱۱٦۰۹٦۹

The Institute of Ismaili Studies

تفسير الشهرستاني

(مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار)

(المجلّد الاوّل)

تأليف: محمد بن عبدالكريم شهرستاني

تحقيق و تعليق: محمد علي آذرشب (استاذ جامعة طهران)

الناشر: مركز البحوث و الدراسات للتراث المخطوط

بالتعاون مع مؤســة الدراسات الاسماعيلية و جامعة طهران ـ شؤون البحث العلمي

مدير الانتاج: محمد باهر

المشرف على الطباعة: حسين شاملوفرد

تنضيد الحروف و تنسيق الصفحات: محمد دميرچي ـ رضا سلگي

الطبعة الأولى: ١٣٨٦ هجرية شمسية / ١٤٢٩ هجرية قمرية / ٢٠٠٨ ميلادية

العدد: ٢٠٠٠ نسخة

ثمن المجلدين: ١٧٠٠٠ تومان

شابک ج ١ و ٢: ٩ ـ ٥٨ ـ ٨٧٠٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

شابک ج ١: ٦ ـ ٥٩ ـ ٨٧٠٠ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨

المطبعة: نقره آبي ـ **التجليد:** سياره

جميع الحقوق محفوظة للناشر

النشر الالكتروني لهذا الكتاب من دون إذن كتبي من الناشر ممنوع

عنوان الناشر: طهران، ص. ب: ١٣١٥٦٩٣٥١٩

الهاتف: ٦٦٤٩٠٦١٢، فاكس: ٦٦٤٠٦٢٥٨

E-mail: tolid@MirasMaktoob.ir

http://www.MirasMaktoob.ir

لا التدبر في القرآن ... : ٤٢٩ (الأمريكي)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحیم

دریای گران فرهنگ پرمایهٔ اسلام و ایران در نسخه‌های خطی موج می‌زند. این نسخه‌ها، در حقیقت، کارنامهٔ دانشمندان و نوابغ بزرگ و هویت‌نامهٔ ما ایرانیان است. بر عهدهٔ هر نسلی است که این میراث پرارج را پاس دارد و برای شناخت تاریخ و فرهنگ و ادب و سوابق علمی خود به احیا و بازسازی آن اهتمام ورزد.

با همهٔ کوششهایی که در سالهای اخیر برای شناسایی این ذخایر مکتوب و تحقیق و تتبع در آنها انجام گرفته و صدها کتاب و رساله ارزشمند انتشار یافته هنوز کار ناکرده بسیار است و هزاران کتاب و رسالهٔ خطی موجود در کتابخانه‌های داخل و خارج کشور شناسانده و منتشر نشده است. بسیاری از متون نیز، اگرچه بارها به طبع رسیده منطبق بر روش علمی نیست و به تحقیق و تصحیح مجدّد نیاز دارد.

احیا و نشر کتابها و رساله‌های خطی وظیفه‌ای است بر دوش محققان و مؤسسات فرهنگی.

مرکز پژوهشی میراث مکتوب در راستای این هدف در سال ۱۳۷۴ بنیاد نهاده شد تا با حمایت از کوششهای محققان و مصححان، و با مشارکت ناشران، مؤسسات علمی، اشخاص فرهنگی و علاقه‌مندان به دانش و فرهنگ سهمی در نشر میراث مکتوب داشته باشد و مجموعه‌ای ارزشمند از متون و منابع تحقیق به جامعهٔ فرهنگی ایران اسلامی تقدیم دارد.

مرکز پژوهشی میراث مکتوب

المستهام

۹. مفاتيح الأسرار .... م ٤٦
المفتاح الأول: الاهتداء بمصابيح الأبرار .... م ٤٦
المفتاح الثاني: تشخيص الخاصّ .... م ٥٠
المفتاح الثالث: المفروغ و المستأنف .... م ٥٤
المفتاح الرابع: التضادّ و الترتّب .... م ٥٥
المفتاح الخامس: الخلق و الأمر .... م ٥٧
۱۰. النسخة الموجودة من التفسير .... م ٦٠
۱۱. منهجنا في التحقيق .... م ٦٢

مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار في تفسير القرآن ۱

مقدّمة المؤلف ۳

مفاتيح الفرقان فى علم القرآن ۷
الفصل الأوّل ـ في أوائل نزول القرآن و أواخره و ولاء نزوله ۷
الفصل الثاني ـ في ذكر كيفية جمع القرآن ۹
الفصل الثالث ـ في ذكر اختلاف الرواة في ترتيب نزول ۱٦
ترتيب نزول القرآن ۱۹
ذكر ولاءِ السُّوَرِ في المصاحف ۲٤
الفصل الرابع ـ في القراءات ۳۱
الفصل الخامس ـ في ما يُستحبّ لقارئ القرآن ويُكره له في الاستعاذة ۳۸
الفصل السادس ـ في أعداد سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه على ما اختلفوا فيه واتّفقوا عليه ٤۱
الفصل السابع ـ في تعديد المفسّرين من الصحابة وغيرهم وتعديد التفاسير المصنّفة والمعاني وأصحابها ٤۳
الفصل الثامن ـ في معنى التفسير والتأويل ٤٦
الفصل التاسع ـ في العموم والخصوص والمحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ ٥۰
الفصل العاشر ـ في حكمَي المفروغ والمستأنف وطرفَي التضادّ والترتّب على قاعدتَي الخلق والأمر ٥٤

الفصل الحادي عشر ـ في إعجاز القرآن نظماً وفصاحةً وجزالةً وبلاغةً وهدايةً ٥٩
الفصل الثاني عشر ـ في شرائط تفسير القرآن ٦٣

تفسير سورة الفاتحة ٦٩

سورة البقرة ١١٥
التعليقات ٥٥٣
الملحقات ١٠٦١
١. ترجمة مجلسٍ مدوّنٍ للشهرستاني في خوارزم ١٠٦٣
٢. ملاحظات حولَ جداولِ الشهرستاني بشأن توالي نزول سور القرآن ١٠٩١

التعليقات ١٠٩٩

الفهارس ١١٠٩
١. موضوعات الأسرار ١١١١
٢. الآيات الواردة في المتن ١١٢١
٣. الروايات ١١٧٠
٤. الأعلام ١١٨٠
٥. الأمكنة ١٢١٤
٦. الكتب ١٢١٨
٧. الفرق والطوائف ١٢٢٠
٨. المصطلحات ١٢٣٨
٩. المصادر العربية و الفارسية ١٢٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

صدر المجلّد الأوّل من كتاب *مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار* (تفسير الشهرستاني) سنة ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م عن مركز نشر التراث المخطوط؛ وهو يضم دراسة عن الشهرستاني وعصره وتفسيره، ثمّ مقدّمته الموسومة بمفاتيح الفرقان وبعدها تفسير سورة الحمد، وفي الخاتمة ملحقان: الأوّل - ترجمة مجلس مدوّن للشهرستاني في خوارزم؛ والثاني ملاحظات حول جداول الشهرستاني بشأن توالي نزول القرآن؛ والأوراق المحقّقة من التفسير في ذلك المجلّد كانت ٤٤ ورقة من مجموع ٤٣٤ ورقة.

وكان القرار أن يصدر الباقي في مجلّدين، ليكون المجموع ثلاثة مجلّدات، غير أنّ تأخّر صدور الباقي لأسباب سنذكرها، ونفاد المجلّد الأوّل من الأسواق دعا الناشر إلى التفكير في إخراج جميع الكتاب بمجلّدين؛ وهذا ما شجعني على إعادة النظر في دراستي السابقة عن الشهرستاني وعصره وتفسيره؛ فحذفت ما رأيته لا يرتبط مباشرة بالتفسير والمفسّر، وأضفت ما استجدّ لي من آراء ومعلومات بشأن الكتاب وصاحبه؛ وها هو التفسير كاملاً في مجلّدين: الأوّل يضم مقدّمة التحقيق ومفاتيح الفرقان وتفسير سورة الحمد وقسم من البقرة

المسرهم

وينتهي بما انتهى إليه المجلّد الأوّل حسب تقسيم المؤلّف؛ والثاني ينتهي بنهاية تفسير سورة البقرة مع الملحقات.

كانت بقيّة الكتاب جاهزة بشكلٍ عامٍ منذ أن صدر الجزء الأوّل، غير أنّ ثمّة عقبات واجهتنا في ترميم ما صعب علينا فهمه من كلمات وعبارات، ويعود ذلك ـ كما ذكرت في مقدّمة الطبعة السابقة ـ إلى سقم النسخة وتطاول يد الزمان عليها؛ ففيها بقع ممسوحة ومساحات مقطوعة، كما تعود المصاعب إلى أنّ الناسخ لم يفهم كثيراً من العبارات ـ كما هو واضح من المخطوطة ـ فرسمها بالشكل الذي رآه، وفي الرسم تقع عادة الأخطاء الكثيرة، ثّم إنّ الكلمات في النسخة إمّا أن تكون غير منقوطة أو منقوطة بشكلٍ غير صحيحٍ لايقوم على نظام، وقد يغيّر التنقيط معنى الكلمة ممّا يحتاج إلى دقّةٍ في التصحيح من خلال القرائن، ويزيد المشكلة أنّها النسخة الوحيدة ولايمكن الرجوع في تصحيحها إلى نسخةٍ أُخرىٰ.

نؤكّد هنا أيضاً أنّ ما قمنا به في هذه الدراسة لايعدو أن يكون فتح نافذة على عالم من الفكر الإسلامي لايمثّل شخص الشهرستاني حسب، بل يمثّل مرحلة ناضجة من تيّار فكريّ يمرّ عبر صراع بين الأشاعرة والمعتزلة، وبين المجبّرة والمفوّضة، وبين الاتّجاه العلوي والاتّجاه الأُموي في التراث، وبين الجمود والاجتهاد؛ وعسى أن نكون قد قطعنا في هذا التحقيق خطوة على طريق طويل يجب أن تتظافر في سبر أغواره جهود العلماء والباحثين.

ويفرض الواجب عليّ أن أذكر بإجلال وإعظام الأساتذة الذين أعانوني بتوجيهاتهم في هذه الدراسة، وشجّعوني على تجشّم صعابها، وأخصّ بالذكر الأستاذ الدكتور السيّد محمّد باقر حجّتي الذي يعود إليه الفضل في إرشادي إلى هذه الدراسة، والأستاذ الدكتور المرحوم سيّد جعفر سامي الدبوني.

وأتقدّم بالشكر لمكتبة مجلس الشورى الإسلامي وأمينها الأستاذ عبد الحسين الحائري الذي أعانني كثيراً على الاستفادة من المخطوطة الفريدة لهذا التفسير.

والشكر موصول لمركز نشر التراث المخطوط ورئيسه الباحث الفاضل الدكتور السيّد أكبر إيراني وكلّ العاملين في هذا المركز خاصّةً الدكتور السيد غلام رضا تهامي لمراجعته النص

المسيّر

وإصلاح بعض المفردات، وأيضاً صديقي الأعزّ الأستاذ الباحث يوسف الهادي والأخ الباحث الاستاذ أوجبي لما بذلاه من جهد في المراجعة والتصحيح واستخراج مصادر الروايات، كما أشكر مركز دراسات الإسماعيلية والدكتور توبي ماير على مقدمته بالإنجليزية، وأشكر أيضا الأستاذ صلواتي على مابذله من جهد في استخراج الفهارس، والأستاذ باهر والأخوات طاووسي و حسيني و سائر العاملين في مركز أبحاث التراث المخطوط.

والشكر موصول للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية ولوزارة العلوم والأبحاث والتقانة وشؤون البحث العلمي في جامعة طهران على دعمهم لهذا المشروع. سائلاً اللّه سبحانه أن يوفّقهم جميعاً لخدمة تراثنا العظيم؛ والحمد للّه أوّلاً وآخراً.

محمّد علي آذرشب

١٣٨٦/١٠/٢ هـ.ش

١٤٢٨/١٢/١٢ هـ.ق

مقدّمة المصحّح

١. الشهرستاني

أبو الفتح، محمّد بن أبي القاسم عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ، الشافعي، الأشعري[1]، الملقّب بالأفضل وحجّة الحقّ وتاج الدين[2].

---

١. ذكرت أكثر المصادر التي ترجمت له أنّه أشعري شافعي؛ إذ درس في جوّ مشحون بالتعصّب للشافعية والأشعرية؛ وسيتّضح من تفسيره أنّه يتمتّع بشخصية مستقلّة عن المحيط الذي عاش فيه. راجع مذهب الشهرستاني في هذه المقدّمة.

٢. ترجم له ثلاثة علماء عاصروه هم محمود بن محمّد الخوارزمي في *تاريخ خوارزم*، ولم يصل إلينا هذا الكتاب، ونقل ما قاله ياقوت الحموي في *معجم البلدان* ٣ / ٣٧٦ ـ ٣٧٧، كما ترجم له الإمام ظهير الدين عليّ بن زيد البيهقي في *تاريخ الحكماء* المسمّى *بتتمّة صوان الحكمة* / ١٣٧ ـ ١٤٠؛ وكتب عنه أبو سعد السمعاني في *ذيل تاريخ بغداد*، وهو غير موجود بين أيدينا اليوم، ونقل عنه السُبكي في *طبقات الشافعية* ٦ / ١٢٨ وما بعدها، كما كتب عنه السمعاني في *التحبير في المعجم الكبير* الترجمة رقم ٧٩١، ج ٢، ص ١٦٠: ومن كتب عنه بعد هؤلاء الثلاثة فقد أخذ منهم بإضافة اسم كتاب أو انتقاد عبارة ولكن الكلام لم يخرج بشكل عامّ عمّا قالوه؛ ونجد ترجمته في: *تذكرة الحفّاظ* ٤ / ١٣١٣؛ *وفيات الأعيان* ٣ / ٤٠٤؛ *المختصر في أخبار البشر* ٣ / ٢٩؛ *تتمّة المختصر* المعروف *بتاريخ ابن الوردي* ٢ / ٥٥؛ *شذرات الذهب* ٤ / ١٤٩؛ *العبر* ٤ / ١٣٢؛ *الوافي بالوفيات* ٣ / ٢٧٨؛ *لسان الميزان* ٥ / ٢٣٦؛ *مرآة الجنان* ٣ / ٢٨٩؛ *النجوم الزاهرة* ٥ / ٣٠٥٤؛ *كشف الظنون* / ٢٩١، ٤٧٢، ١٧٠٣، ١٨٢٠ ـ ١٨٢١، ١٩٨٦؛ *روضات الجنات* ٨ / ٢٦؛ *الكنى والألقاب* ٢ / ٢٧٤؛ *الأعلام* ٣ / ٩١٨؛ *معجم المطبوعات العربية* ٣ / ١١٥٣؛ *معجم المؤلفين* ١٠ / ١٨٧؛ *لغتنامه* ٧٢ / ١١٢؛ *ودائرة المعارف الإسلامية*، ١٣ / ٤٢٣؛ *وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان* ٣٥٦ و ٤٢٨ و ٤٢٩ والتتمّة الأولى (S,1) ص ٧٦٢ و ٧٦٣.

وُلِدَ في مدينة «شهرستان» سنة ٤٦٧[١]، أو ٤٦٩[٢] أو ٤٧٩[٣] هـ في عصر السلاجقة الكبار[٤] وكان معاصراً للسلطان سنجر بن ملكشاه[٥].

٢. حياته العلمية

تلقّى الشهرستاني مقدّمات العلوم في مسقط رأسه شهرستان أو شهرستانه[٦] وفي الجرجانية (أو گرگانج)[٧] ثمّ رحل إلى نيشابور حيث كانت في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري أكبر مركز علمي في الممالك الشرقية، وتتلمذ على يد كبار الأساتذة هناك واستفاد من نظامية نيشابور ومكتبتها، ودَرَس خلال هذه الفترة أو قبلها على الإمام أبي

١. هي رواية الخوارزمي، نقلها عنه ياقوت.

٢. رواية ابن خلكان في *وفيات الأعيان* وأبي الفداء في *المختصر*.

٣. وهي رواية السمعاني كما نقلها الإمام السبكي في *طبقات الشافعية* وابن خلكان في وفياته، عن الذيل؛ ويبدو أنّ السمعاني أو من نقل عنه أخطأ في التاريخ المذكور، فالسمعاني نفسه كتب في *التحبير* ٢ / ١٦٣ أنّه «كانت ولادته في سنة تسع وستين وأربعمائة بشهرستانه».

٤. (٤٣١ـ٥٥١ هـ) ظهرت قوّةُ السلاجقةِ عندما دَبّ الضعف إلى جَسَدِ الخلافة العباسية؛ فاستطاعوا خلال فترةٍ ليست بطويلةٍ أن يبسطوا نفوذَهم على إيران والجزيرة والشام وآسيا الصغرى، وامتدّت سيطرتُهم على أرضٍ واسعةٍ تمتدّ من حدود الصين وكاشغر وأفغانستان شرقاً، حتّى البحر المتوسّط غرباً، وكان لهم فضل في دحر جيوش الروم الشرقية المهاجمة على العالم الإسلامي، وفي صدّ الغزو الصليبي؛ وكان خراج ملوك الدويلات وأمراء الأطراف يُحمل إلى بلاطهم (في مقدّمة كتاب *سلجوقنامه* للإمام ظهير الدين النيشابوري ت حوالي ٥٨٢ هـ معلومات قيّمة حول مصادر دراسة السلاجقة بقلم ميرزا إسماعيل خان أفشار).

٥. كان سنجر حاكماً على خراسان في عهد بركيارق ومحمّد (٤٩٠ ـ ٥١١ هـ). بعد أن سمع بنبأ موت السلطان محمد أبى الخضوعَ لابنه محمود، فتجهّز لمحاربته ودحره، وكان اسم السلطان سنجر يذكر في الخطب من حدود كاشغر حتى أقاصي بلاد اليمن ومكة والطائف وعمان ومكران وأرّان وآذربايجان بل وحتى في الروم والبلغار. لكن سيادته المباشرة كانت من الريّ غرباً حتى بلاد السند وكاشغر شرقاً، توفّي سنة ٥٥٢ هـ (طبرسى و*مجمع البيان*، كريمان / ٢٩).

٦. شهرستان اسم لثلاث مدن، واحدة بأرض فارس والأخرى قرب إصفهان والثالثة وهي التي ولد فيها الشهرستاني بليدة بخراسان قرب نَسا (درّه گز حاليا قرب الحدود الإيرانية التركمنستانية في الشمال الشرقي) *بلدان الخلافة الشرقية* / ٤٣٥، بين نيشابور وخوارزم *معجم البلدان* ٣ / ٣٧٧.

٧. مقدّمة النائيني لكتاب *توضيح الملل* / ١٣؛ وجرجانية مدينة كبيرة على شاطئ جيحون، وتعتبر حاضرة إقليم خوارزم والشهرستاني عاد إليها قبل توجّهه إلى بغداد *معجم البلدان* ٢ / ١٢٢ ـ ١٢٣ ثمّ تردّد عليها بعد عودته من بغداد وألقى فيها مجالس وعظ.

مظفر الخوافي في طوس؛ وبعد اضطلاعه في فنّي الوعظ والمناظرة رحل إلى خوارزم[١]، ولكنّ طموحه أبى عليه البقاء هناك؛ فرحَلَ سنة ٥١٠ هـ قاصداً الحجّ؛ ولدى عودته مكث في بغداد ثلاث سنين؛ وعقد خلالها مجالس الوعظ في نظامية بغداد[٢].

ويبدو أنّه عزم بعد هذه الأعوام الثلاثة أن يمارس نشاط التأليف والتصنيف؛ فاتّجه إلى مرو[٣] حيث المكتبة العظيمة التي يستطيع أن يستفيد منها في تأليفاته وتحقيقاته، وحيث مركز السلطة الذي يستطيع أن يجد فيه السند المالي لمواصلة نشاطاته العلمية.

وفي مرو وجد هذا السند؛ إذ تعرّف إلى الوزير نصيرالدين محمود بن المظفر[٤]، أبو توبة، كما تعرّف على تاج المعالي مجد الدين أبي القاسم عليّ بن جعفر بن حسين قدامة الموسوي[٥]، نقيب ترمذ، المعروف برئيس خراسان؛ وكلاهما من مشجّعي العلم والعلماء

---

١. رحلة الشهرستاني من نيشابور إلى خوارزم تعتبر في اعتقادنا أوّل ظاهرةٍ لتمرّده على الجوّ الفكري والعلميّ المألوف؛ فقد كان بإمكانه أن يبقى في نظامية نيشابور ويبرز فيها، لكنّه كان عليه في هذه الحالة أن يحافظ على الطريقة الشافعية الأشعرية فيها وما كان بإمكانه أن يخرج عنها. لكنّه بذهابه إلى خوارزم وجد الفرصة لأن يخرج عن الجوّ السائد؛ وعن هذه الفترة من الحياة العلمية للشهرستاني كتب الخوارزمي يقول: «وقد كان بيننا محاورات ومفاوضات؛ فكان يبالغ في نُصرة مذاهب الفلاسفة والذبّ عنهم؛ وقد حضرت عدّة مجالس من وعظه؛ فلم يكن فيها لفظ قال اللّه ولا قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ ولا جواب عن المسائل الشرعية» *معجم البلدان* ٣/٣٧٧.

٢. يذكر الخوارزمي أنّ الشهرستاني ظهر له قبول عند العوام خلال جلسات وعظه؛ ومن الممكن أنّه أراد أن يطعن في هذه العبارة بصاحبنا، لكنّها تبيّن أنّه اكتسب بمجالسه هذه قاعدة شعبية من المستمعين، كما تبيّنُ أنّ الناس في ذلك العصر كانوا مشتاقين لسماع شيء جديد، وقد وجدوه عند الشهرستاني؛ ومرّة أُخرى يطعن الخوارزمي بالشهرستاني من طرف خفي؛ إذ يعزو تدريسه في نظامية بغداد إلى معرفة شخصية له مع بعض الأساتذة فيقول: «إنّ المدرّس بنظامية بغداد آنذاك كان أسعد الميهَني وكان بينه وبين الشهرستاني صحبه سالفة بخوارزم؛ فقرّ به أسعد لذلك» *معجم البلدان* ٣ / ٣٧٧.

٣. مَرو الشاهجان، أشهر مدن خراسان كما قال ياقوت تبعد سبعين فرسخاً عن نيشابور واختارها السلطان سنجر عاصمة لملكه انظر: *معجم البلدان* ٥ / ١١٢ ومابعدها.

٤. هو ثامن وزراء السلطان سنجر (*وزرات در عهد سلاطين بزرگ سلجوقي* / ٩٤).

٥. أبو القاسم عليّ بن جعفر الموسوي، هو السيّد الأجل، الأظهر، المنتخب المحمّد، مجد الدين. أشرف الأشراف، ذو المناقب والمراتب على الإطلاق، سيّد الشرق والغرب، أبو القاسم عليّ بن فخر الدين جعفر بن عليّ بن جعفر بن محمّد بن موسى بن جعفر بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن ←

والأدباء في منطقة خراسان، وعن طريقهما تقرّب من بلاط السلطان سنجر[١] حتّى أصبح «مقرباً من سرير السلطان الأعظم.. وصاحب سرّه»[٢]؛ كان خلال هذه المدّة يتردّد على ترمذ ليلتقي بنقيبها، كما كان يتردّد على خوارزم، ويلقي مجالس الوعظ فيها، ومنها مجلسه المكتوب بالفارسية الذي ترجمناه في ملحق هذا التفسير.

ولم تكن حياة الشهرستاني خلال هذه المرحلة خالية من منغّصات. فقد قلب السلطان سنجر ظهر المجنّ للوزير نصيرالدين مما دفع الشهرستاني أن يحذف مقدمته التي كتبها في *الملل والنحل*، وذكر فيها بإعظام اسم الوزير، وأن يستبدل بها مقدمة أخرى. كما شهد محنة النقيب مجدالدين الذي اعتقله سنجر نتيجة وشاية الواشين.[٣]

ثمّ بعد ذلك شهد الشهرستاني هزيمة السلطان سنجر في حرب قطوان وضعف ملكه؛ ولاندري أيّة حادثة من هذه الحوادث المرّة دفعت الشهرستاني ليذكر وهو يكتب كتابه المصارعة: «لمّا انتهيت الكلام في هذه المسألة إلى هذه الغاية، وأردتُ الشروع في المسألة السادسة والسابعة، شغلني عن بيانها ما قد تكأّدني ثِقلُه، وَبَهَضني حملُه من فتن الزمان وطوارق الحدثان، وإلى اللّه المشتكى وعليه المعوّل في الشدّة والرخاء؛ فاقتصرت على إيراد رؤوس المسائل.»[٤]

ويظهر أنّه غادر بعد عام ٥٣٦ هـ مرو إلى مسقط رأسه شهرستان وهناك اعتزل بعد أن تقطّعت به أسباب الدعم المادّي، وبدأ تأليفه في التفسير سنة ٥٣٩٨ هـ وتوفّي فيها سنة

الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام. وعمّه السيّد أبو عبد اللّه الحسين، وابناه: المختار نور الدين محمّد، والسيّد الوزير صدر الدين أبو محمد جعفر. قال صاحب كتاب *نهاية الأعقاب*: إنّ جعفر بن إبراهيم بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم، انتقل من أمينه ـ بلدة بخراسان ـ إلى ترمذ، وتوفّي عام ٥٤٥ هـ كان ينفق الأموال الكثيرة في اتّخاذ الآلات الرصدية ومعرفة أوساط الكواكب ومقوماتها. (انظر مجلة *نامهٔ آستان قدس* ـ بالفارسية ـ العدد الثالث من ٧٥ ـ ٧٧). وقد تولّى أبو القاسم عليّ بن جعفر الموسوي حكم ترمذ، ودعا العلماء إليه من شتّى مدن إقليم خراسان؛ فكتبوا وألّفوا في عدّة فنون؛ وكان من بينهم تاج الملّة والدين الشهرستاني، الذي دعاه أبو القاسم عليّ إلى تأليف كتاب في «*الملل والنحل*»، ثمّ طلب منه أن يؤلّف كتاباً في الردّ على ابن سينا، فألّف له كتاب *مصارعة الفلاسفة*. (نقلاً عن كتاب *مصارعة الفلاسفة*، تحقيق الدكتورة سهير مختار).

١. انظر: مقدّمة النائيني لكتاب *توضيح الملل* / ١٩.
٢. *تتمّة صوان الحكمة* / ١٤٠.
٣. انظر: مقدّمة النائيني لكتاب *توضيح الملل* / ٢٧.
٤. *مصارع المصارع* / ١٨٣.

٥٤٨ هـ على أصحّ الأقوال وقيل ٥٤٩ هـ.[١]

أساتذته

تفقّه الشهرستاني على أحمد الخوافي، وسمع الحديث من عليّ بن أحمد المديني وغيره، وأخذ الأصول والكلام على أبي نصر القشيري، وأبي القاسم الأنصاري.[٢]

١. أحمد الخوافي: أبو المظفّر، أحمد بن محمّد بن المظفّر، الخوافي؛ ولي القضاء بطوس ونواحيها، وكان زميل الغزالي، ومشهوراً بين العلماء، قيل: إنّه أنظر أهل عصره وأعرفهم بطريق الجدل والفقه.[٣] تفقّه في شبابه على أبي إبراهيم الضرير، ثمّ على إمام الحرمين الجويني، وتوفّي سنة ٥٠٠ هـ بطوس[٤].

تتلمذ عليه الشهرستاني قبل رحلته من خوارزم إلى نيشابور، ولعلّه جمع بين دراسته في نظامية نيشابور وبين تلقّيه على الخوافي؛ وأبو المظفّر من فقهاء الشافعية، وإلى ذلك يعود تضلّع الشهرستاني في الفقه الشافعي كما يتّضح من تفسيره.

٢. عليّ بن أحمد المديني: أبو الحسن عليّ بن أحمد بن محمّد الأحزم المديني المؤذّن، إمام فاضل ورع، سمع أبا عبد الرحمن السلمي وأبا زكريا المذكّي وأبا القاسم السرّاج وغيرهم.

قال أبو سعد السمعاني: سمع منه والدي، ويروي لنا عنه جماعة كثيرة بخراسان والعراق؛ وتوفّي سنة ٤٩٤ هـ وكانت ولادته بعد سنة أربعمائة.[٥]

٣. أبو نصر القشيري: عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري، ابن أبي القاسم القشيري المعروف. اشتهر في علوم الفقه والأصول والكلام والرياضيات، وهكذا في الأدب وفنون المناظرة والمجادلة، ومن أكابر علماء الأشاعرة.

---

١. التاريخ الثاني ذكره ابن خلكان، وضعّفه في *وفيات الأعيان* ٤ / ٢٧٥؛ ويذكر تقرير لإحدى لجان تخطيط الحدود الإيرانية السوفيتية (التركمنستانية حالياً) أنّهم وجدوا في أطلال مدينة شهرستان القديمة على الحدود قبراً يسمّيه أهالي المنطقة قبر الملاّ محمّد. انظر: *توضيح الملل* ١ / ٣٠.

٢. انظر: *معجم البلدان* ٣ / ٣٧٧.

٣. انظر: *تاريخ نيشابور* / ٢٦٠.

٤. انظر ترجمته أيضاً في: *العبر* ٣/٣٥٥؛ *مرآة الجنان* ٣/١٦٢؛ *وفيات الأعيان* ١/٩٦؛ *طبقات السبكي* ٤/٥٥ و *الوافي بالوفيات* ٧/٦٨.

٥. *الأنساب*، ورقة ٥١٧ الف.

تتلمذ عليه الشهرستاني في نظامية نيشابور، رَحَلَ من نيشابور ليقيم مدّةً في بغداد، وخلالها حجّ مرّتين؛ وكان يحضر مجلسه في نظامية بغداد رجال البلاط العبّاسي؛ وخلال العام الأخير من إقامته في بغداد حدثت فتنة بين مؤيّديه ومعارضيه أدّت إلى وقوع اشتباكات وتسبّبت في جُرح أحد أبناء نظام الملك؛ ولذلك اضطرّ نظام الملك أن يعيد أبا نصر إلى نيشابور باحترام؛ توفّي سنة ٥١٤ هـ.[١]

٤. سلمان بن ناصر الأنصاري: أبو القاسم، سلمان بن ناصر بن عمران بن محمّد بن إسماعيل بن إسحاق بن يزيد بن زياد بن ميمون بن مهران، الأنصاري.[٢]

تلقّى الشهرستاني عليه التفسير، وذكره في مقدّمته، ويبدو من كلام الشهرستاني أنّ أستاذه كان متضلّعاً في تفسير أهل البيت للقرآن الكريم، ومنه اطّلع على «أسرار دفينة وأصول متينة في علم القرآن».[٣]

ذكر عنه صاحب *المنتخب من السياق* وهكذا السبكي أنّه صوفي؛ ويتبيّن من ذلك العلاقة بين التصوّف والولاء لآل البيت في ذلك العصر، كما يقول عنه صاحب *المنتخب* أنّه «الإمام الدين، الورع الزاهد، عزيز عصره في وقت، بيته بيت الصلاح والتصوّف والزهد؛ وهو من جملة الأفراد في علم الأصول والتفسير؛ خدم أبا القاسم القشيري مدّة وحصل طرفاً صالحاً من العلم؛ توفّي سنة ٥١٢ هـ.»[٤]

وذكر السبكي براعته في التفسير وأنّه من أهل نيشابور، وقال: إنّه مصنّف *شرح الإرشاد في أصول الدين* وكتاب *الغُنية*؛ و «أخذ عن إمام الحرمين وحدّث عن أبي الحسين بن مكّي، وفضل الله بن أحمد الميهني[٥]، وعبد الغافر بن محمّد الفارسي، وكريمة المروزيّة، وأبي صالح المؤذّن، وأبي القاسم القشيري وغيرهم.»

١. انظر: *تاريخ نيشابور*، الترجمة ١٠٦٩، ص ٤٩٨؛ *طبقات الشافعية*، ٤ / ٢٤٩ و *البداية والنهاية*، ١٢ / ١٨٧.

٢. انظر: *طبقات الشافعية*، ٧ / ٩٦.

٣. راجع: مذهب الشهرستاني ودافعه في التفسير في هذه الدراسة.

٤. *تاريخ نيشابور*، الترجمة ٧٩٧، ص ٣٨٦.

٥. هو أبو سعيد بن أبي الخير الميهَني، مقدّم شيوخ الصوفية وأهل المعرفة في وقته؛ توفّي سنة ٤٤٠ ق؛ انظر: *طبقات الشافعية*، ٥/٣٠٦ ـ ٣٠٨.

خلال فترة تتلمذه على أبي القاسم القشيري سافر إلى الحجاز وعاد إلى بغداد، ثمّ قدم الشام، فصحب المشايخ، وزار المشاهد، ثمّ عاد إلى نيشابور واستأنف تحصيل الأصول على القشيري.

روى السبكي عن عبد الغافر قال: كانت معرفته (الأنصاري) فوق لسانه، ومعناه أكثر من ظاهرة؛ وكان ذا قدمٍ في التصوّف والطريقة، عفّاً في مطعمه، يكتسب بالوراقة ولا يخالط أبداً؛ ولا يباسط في مطعم دنيوي؛ وأُقعِدَ في خزانة الكتب بنظامية نيشابور اعتماداً على دينه؛ وأصابه في آخر عمره ضعفٌ في بصره، ويسيرُ وَقر في أذنه.

وعن أبي نصر عبد الرحمن بن محمّد الخطيبي روى السبكي قال: سمعت محمود بن أبي توبة الوزير يقول: مضيتُ إلى باب أبي القاسم الأنصاري؛ فإذا البابُ مردود، وهو يتحدّث مع واحد؛ فوقفتُ ساعةً، وفتحتُ الباب؛ فما كان في الدار غيره؛ فقلتُ: مع مَن كنت تتحدّث؟ فقال: كان هنا واحد من الجنّ كنت أكلّمه.

وروى السبكي أيضاً عن ابن السمعاني قال: أجاز لي مروياته، وقال: سمعتُ محمّد بن أحمد النوقاني يقول: سمعتُ أبا القاسم الأنصاري يقول: كنتُ في البادية فأنشدتُ:

سرى يخبِطُ الظلماءَ والليلُ عاسِفُ ... حبيب بأوقات الزيارة عارف

فما راعني إلّا سلام عليكم ... أ أدخلُ؟ قلتُ: ادخل ولِمْ أنتَ واقِفُ

فجاء بدوي، فجعل يطرب ويستعيدني.

قال السبكي: مات هذا الشيخ سنة ٥١١ أو ٥١٢ هـ[1]

مؤلّفاته

الف. الآثار الموجودة:

١. *نهاية الإقدام في علم الكلام*: منه نسخ متعدّدة في إسلامبول وبرلين وبودلي وطهران، وطبعه آ. ويليام في أكسفورد سنة ١٩٣٩م. يشتمل على عشرين قاعدة، يتناول في

---

١. راجع *طبقات الشافعية* ٧ / ٩٦ ـ ٩٩؛ وانظر ترجمته في *العبر* ٤ / ٢٧.

كلّ واحدة منها موضوعاً في علم الكلام؛ وبعد أن يناقش آراءَ المتكلّمين [1] يُدلي برأيه على المذهب الأشعري، وقد يخالف هذا المذهب أحياناً.

٢. *الملل والنحل في مقالات ومذاهب أهل العالم*: ألّفه سنة ٥٢١ هـ، وقدّمه إلى الوزير نصير الدين محمود بن المظفّر.[2] ترجمه أفضل بن صدر تركه أو أفضل الدين محمّد صدر تركه المقتول سنة ٨٥٠ ق إلى الفارسية تحت عنوان ***تنقيح الأدلّة والعلل في ترجمة كتاب الملل والنحل***[3]؛ وترجمه **مصطفى بن خالقداد الهاشمي سنة ١٠٢٠ ـ ١٠٢١ هـ في** لاهور إلى الفارسية وسمّاه ***توضيح الملل***[4]؛ وترجمه **نوح بن مصطفى** (ت ١٠٧٠) إلى التركية العثمانية؛ ونقله ثيودور هاربروكر Haarbrucker إلى الألمانية سنة ١٨٥٠م. توجد منه نسخة خطّية في الإسكوريال يبدو أنّها بخطّ الشهرستاني؛ وطبع لأوّل مرّة عن هذه النسخة باهتمام ويليام كورتن سنة ١٨٤٦م في بريطانيا، وأعيد طبعه في ليبزيك سنة ١٩٢٣م في بريطانيا، وطبع مراراً في مصر والهند وإيران. أشاد بأهمّية هذا الكتاب القدماء والمحدّثون، لكن الإمام الفخر الرازي (ت٦٠٦ق) قلّل من أهمّيته وأصالته، وقال: إنّه منقول عن كتب أخرى [5].

٣. ***المصارعة***: وسمّي أيضاً ***المصارعات*** و ***مصارعة الفلاسفة*** و ***مصارع الفلاسفة***، كتبه لنقيب

---

١. يناقش أبا الحسن الأشعري، وأبا نصر الفارابي، وأبا علي بن سينا، وأبا إسحاق الإسفرايني، وإمام الحرمين الجويني، وأبا المعالي الجويني، والجبائي، وأبا القاسم الأنصاري أستاذَه؛ ويذكر أستاذه في موضع بهذه العبارة: «أستاذنا وإمامنا ناصر السنّة، أبا القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري». ***نهاية الإقدام*** / ٣٨.

٢. بناءً على المقدّمة الأولى المحذوفة في معظم النسخ الخطّية من الكتاب كما مرّ. هذا ما ذهب إليه محمّد بن فتح اللّه بدران في تخريج كتاب *الملل والنحل*، لكن الدكتورة سهير مختارترى ـ كما مرّ ـ أنّه ألّفه لنقيب ترمذ عليّ بن جعفر الموسوي.

٣. صحّحه ونشره الدكتور سيّد محمّد رضا جلالي نائيني ونشره سنة ١٣٥٠ هـ. ش.

٤. صحّحه ونشره النائيني المذكور سنة ١٣٦٢ هـ. ش في مجلّدين.

٥. كتاب *المناظرات*، المسألة العاشرة، وفيها يذكر الإمام الفخر الرازي حواره مع شرف الدين المسعودي ويبيّن أنّ الشهرستاني نقل ما يرتبط بالفرق الإسلامية من *الفرق بين الفرق* لأبي منصور البغدادي وما يتعلّق بالفلاسفة من *صوان الحكمة* ومايدور حول أديان العرب في الجاهلية من *أديان العرب* للجاحظ؛ وينفرد كتاب *الملل والنحل* بأربعة فصول كتبها حسن الصبّاح بالفارسية وترجمها الشهرستاني في كتابه إلى العربية. انظر: *المناظرات* / ٢٥ ـ ٢٧.

ترمذ بعد *الملل والنحل* حول الأبواب السبعة في الإلهيات. ردّ عليه الخواجه نصيرالدين الطوسي (ت ٦٧٢ هـ) في كتابه: *مصارع المصارع*، وفيه ذكر كلّ محتويات كتاب *المصارعة*[١].

٤. *رسالة في موضوع علم واجب الوجود*: كتبها الشهرستاني إلى معاصره الفيلسوف شرف الزمان محمّد الإيلاقي[٢].

٥. *مسألة في إثبات واجب الوجود*: رسالة تدور حول الجزء الذي لايتجزّأ؛ يبيّن فيها الاختلاف بين آراء الفلاسفة والمتكلّمين[٣].

٦. *مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار* (تفسير الشهرستاني) وهو هذا التفسير .

٧. *شرح سورة يوسف*[٤]

٨. *مجلس في الخلق والأمر*[٥]

ب. الآثار المفقودة:

١. *تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام في علم الكلام*: نسبه إليه ابن خلكان[٦]، وأبو الفداء[٧]، وحاجي خليفة[٨].

---

١. إنّما ذكرنا أنّه موجود، لأنّ نصير الدين الطوسي ذكر كلّ محتوياته في *مصارع المصارعة* وفيه سبعة مسائل يصارع بها الشيخ الرئيس ابن سينا؛ وابن القيّم الجوزية يتهجّم على نصير الدين الطوسي لما أبداه من معارضة للشهرستاني ونصرة لابن سينا فيقول: «وصارع محمّد الشهرستاني ابن سينا في كتابٍ سمّاه *المصارعة* أبطل فيه قوله بقدم العالم وإنكار المعاد ونفي علم الربّ تعالى وقدرته وخلقه العالم. فقام له نصير الإلحاد وقعد ونقضه بكتابٍ سمّاه *مصارعة المصارعة* ووفّقنا إلى الكتابين» *إغاثة اللهفان* ٢ / ٢٦٣؛ كما ذكر هذا الكتاب صدر المتألّهين الشيرازي (ت ١٠٥٠ هـ) في كتابه *الأسفار* ٤١٥/١ بشأن خلق العالم ووقوع الدور إذا لم نقل بوجود بداية لهذا الكون، كما ينقل ردّ نصير الدين الطوسي عليه.

٢. الإيلاقي، هو أبو عبد اللّٰه محمّد بن يوسف، من علماء النصف الأوّل من القرن السادس الهجري توفّي سنة ٥٣٦ ق، ترجم له البيهقي في *تتمّة صوان الحكمة* / ١٢٥؛ والرسالة مع جواب الإيلاقي محفوظة ضمن مجموعة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي.

٣. طبعت هذه الرسالة في ذيل *نهاية الإقدام في علم الكلام* / ٥٠٥ ـ ٥١١.

٤. مخطوط بمكتبة الأزهر الشريف.

٥. بالفارسية، مترجم في ملحق هذا التفسير.

٦. انظر: *وفيات الأعيان* ٤ / ٢٧٣.

٧. انظر: *المختصر في أخبار البشر* ٣ / ٢٩.

٨. انظر: *كشف الظنون* ١ / ٤٧٢.

المسيرة

٢. *العيون والأنهار*: نسبه إليه البيهقي [١]، وذكره الشهرستاني في هذا التفسير، كما ذكر *كتاب التاريخ* وقال: إنّه أورد فيهما أربعين وجهاً في زلّة آدم، وأربعين وجهاً من الخطأ في عثرة إبليس اللعين (الورقة ١٢٦ ب).

٣. *المناهج والآيات*: نسبه إليه البيهقي [٢]، وابن خلكان [٣]، وأبو الفداء [٤].

٤. *الإشارد إلى عقائد العباد*: ذكره الشهرستاني نفسه في كتابه *نهاية الإقدام* [٥].

٥. *دقائق الأوهام*: نسبه إليه الخوارزمي [٦].

٦. *المبدأ والمعاد*: نسبه إليه الخوارزمي [٧]

٧. *الأقطار في الأصول*: نسبه إليه الخوارزمي [٨].

٨. *قصّة موسى والخضر*: نسبه إليه البيهقي [٩].

٩. *أسرار العبادة*: ذكره الخوانساري في *روضات الجنّات* [١٠].

١٠. *تاريخ الحكماء*: نسبه إليه حاجي خليفة [١١]؛ بعض المستشرقين البريطانيين وجدوا كتاب *تاريخ الحكماء* للشهرزوري، فظنّوه هذا الكتاب [١٢]؛ وهذا التوهّم سرى إلى بروكلمان [١٣] ومنه إلى جرجي زيدان [١٤]؛ وربّما يكون هذا الكتاب قسماً من *الملل والنحل*، وقع بيد حاجي خليفة، فظنّه كتاباً مستقلّاً.

١١. *التاريخ*: ذكره الشهرستاني في هذا التفسير (١٢٦ ب).

مكانته العلمية

يُلفت النظَرَ في شَخصية الشهرستاني نبوغه الفكري والعلمي في سنٍّ مبكّرة. وأوضح دليل على ذلك قدرتُه على أن يدخلَ النظاميةَ في بغداد واعظاً وهو في العقد الرابع من عمره

١. انظر: *تتمة صوان الحكمة* / ١٣٧ ـ ١٣٨.
٢. انظر: نفس المصدر / ١٣٧.
٣. انظر: *وفيات الأعيان* ٤ / ٢٧٣.
٤. انظر: *المختصر* / ٢٩.
٥. انظر: مقدّمة بدران على كتاب *الملل والنحل* / ٨.
٦. انظر: *معجم البلدان* ٣ / ٣٧٧.
٧. انظر: نفس المصدر.
٨. انظر: نفس المصدر.
٩. انظر: *تتمة صوان الحكمة* / ١٣٨.
١٠. انظر: روضات الجنّات ٨ / ٢٦.
١١. انظر: *كشف الظنون* ١ / ٢٩١.
١٢. انظر: *الملل والنحل* تحقيق نائيني / ٣٢.
١٣. انظر: *Brock.* S.I: 762
١٤. انظر: *تاريخ آداب اللغة العربية* ٢ / ١٠٤.

(٥١٠ هـ)، ويبقى فيها ثلاثة أعوام يدرّس، ويظهر له قبول عام[١].

من هنا نعتقد أنّه كان قبل هذا التاريخ أكثر من طالب في نظامية نيشابور، ومن المحتمل جدّاً أنّه كان معيداً أو أستاذاً فيها؛ فلا يعقل أن يأتي طالب من نظامية نيشابور ليعتلي كرسيَّ الوعظ في نظامية بغداد، وهي أعلى المدارس كعباً في زمانه، سيّما إذا علمنا أنّ كبار العلماء والفقهاء في هذا العصر كانوا يفتخرون بجلسات وعظهم، وكان لقب «واعظ» من أهمّ الألقاب العلمية.[٢]

ولو علمنا أنّ الطالب لايدخل النظامية أيّة نظاميةٍ كانت إلّا إذا كان قد أنهى مقدّمات العلوم، نفهم أنّ الشهرستاني قد اجتاز هذه المقدّمات في سنّ مبكرة في «شهرستان» و«جرجانية».

يبدو أنّ كفاءة الشهرستاني ونبوغه العلمي من الأسباب التي جعلته تلميذاً لأشهر علماء نيشابور، كما صيّرت منه نجيّاً لأبي القاسم الأنصاري، يأخذ منه ما في قلبه من أسرار في علوم القرآن والتفسير، على مذهب أهل البيت ـ عليهم السلام ـ[٣] ويظهر من مؤلّفاته ما يلي:

١. سعة اطّلاعه على ثقافة زمانه، حتّى أنّه ليعدّ بحقٍّ دائرة معارف هذه الثقافة، وكتابه *الملل والنحل* يثبت ذلك، ويصوّر هو تطوافه في الحواضر العلمية واطّلاعه على الاتّجاهات المذهبية والثقافية المختلفة؛ فيقول:

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلّها ... وسيّرتُ طرفي بين تلك المعالِمِ
فلم أرَ إلّا واضعاً كفّ حائر ... على ذقن أو قارعاً سنّ نادمِ[٤]

وتفسيره يعكس أيضاً سعةَ اطّلاعه، حين يناقش آراء المتكلّمين والفلاسفة؛ فيعرضها عرضَ إنسانٍ يستحضر في ذهنه بشكلٍ ناضجٍ آراء الأقدمين والمعاصرين.

٢. جرأته العلمية على الخوض في أعمق المسائل الفكرية في عصره؛ ويظهر أنّه ما وجد في *الملل والنحل* مجالاً لإبراز هذه الجرأة؛ فتصدّى بعده لكتابة *المصارعة* وفي مقدّمته يبيّن

---

١. عبارة الخوارزمي: «وظهر له قبول عند العوام» معجم *البلدان* ٣ / ٣٧٧.

٢. انظر: *مدارس نظامية* / ١٦٨. ٣. راجع أساتذة الشهرستاني في هذه الدراسة.

٤. انظر: *الملل والنحل* (بدران) ١ / ١٥٤.

المسيرهم

هدفه من هذا الكتاب بقوله: «وإنّما يُسبَر غورُ العقل وتتبيّن قيمة الرجل عند مناجزة الأقران، ومبارزة الشجعان، وبالاختبار تظهر خبيّة الأسرار، وبالامتحان يكرمُ المرءُ أو يُهان.

وقد وقع الاتّفاق على المبرّز في علوم الحكمة وعلّامة الدهر في الفلسفة، أبي علي الحسين بن عبد اللّه بن سينا؛ فلا يقفوه فيها قاف وإن نقض السواد، ولا يلحقه فيها لاحق وإن ركض الجواد، وأجمعوا على أنّ من وقف على مضمون كلامه وعرف مكنون كلامه فقد فاز بالسهم المعلّى، وبلغ المقصد الأعلى؛ فعزمتُ على الاعتراض عليه ردّاً ورمياً، وتعقيب كلامه إبطالاً ونقضاً؛ فإنّ ذلك بابٌ ضُربت دونه الأسدال وقبضت عليه الحفظة والأرصاد؛ فأردتُ أن أصارعه مصارعةَ الأبطال، وأنازله منازلةَ الرجال» [1]

إذن، أعلى هدفٍ للعلماء في عصر الشهرستاني فهمُ بحوث ابن سينا، وهو لا يكتفي بذلك، بل ينازله منازلةَ الأبطال؛ وهذا نموذج لذروة الجرأة العلمية.

٣. استقلال شخصيته العلمية؛ فهو لا يخضع للجوّ المحيط به، بل يعلو عليه؛ فيقبل منه ما يرتأيه، ويرفض منه ما لا يرتأيه؛ يتبيّن ذلك من قول البيهقي الذي نصحه بالعدول عن انتهاج طريق غير مألوف في ذلك العصر عند تناوله تفسير *القرآن*، كما يتّضح هذا الاستقلال الفكري في موقفه من مدرسة أهل البيت ممّا أثار حوله شبهة الإسماعيلية. [2]

تفسيره يبيّن شخصيتَه المستقلّة بكلّ جلاء؛ فهو الذي تتلمذ على يد أئمّة الأشعرية، ودَرَس ودرّس في مراكز الفكر الأشعري، يخالف الأشاعرة ويردّ عليهم كما يردّ على المعتزلة؛ ومع تأكيده على أنّ الفرقة الناجية الوحيدة هي فرقة أهل السنّة والجماعة، فهو يفهم السنّة والجماعة بشكلٍ يخالف المألوف السائد في عصره. [3]

من مظاهر الشموخ العلمي للشهرستاني ما أُضفي عليه من ألقاب، فقد لُقب بالإمام [4]، وهو أعلى لقبٍ يناله عالم في ذلك العصر، ولتعدّد إمامة الشهرستاني في كثير من العلوم

---

١. *مصارع المصارع* / ٥ ـ ٦. ٢. انظر: مذهب الشهرستاني ومفاتيح أسراره في هذه الدراسة.

٣. سيأتي الحديث عن ذلك في دراسة مذهب الشهرستاني.

٤. سمّاه «الإمام» البيهقي وياقوت والسبكي والسمعاني وابن خلكان وابن تغري بردي وأبو الفداء وابن العماد. راجع مصادر ترجمته.

المسيرهم

أطلقوا عليه «الأفضل» [١].

ومن مظاهر ذلك أيضا كتابة دروسه ومجالسه، وهذه الطريقة لاتتّبع في عصره إلّا مع الأئمّة؛ ويبدو أنّ كبار العلماء كانوا يحضرون مجالسه كما يظهر من كلام البيهقي الذي قال: «وقد جمعني وإيّاه الإمام أبو الحسن بن حمويه في مجلس وحضر المجلس الإمام أبو منصور العبّادي وموفّق الدين أحمد الليثي وشهاب الدين الواعظ الشّفوركاني وغيرهم من الأفاضل.» [٢]

بعد ذلك نرى الشهرستاني من خلال مؤلّفاته ممتلكاً لناصية اللغتين العربية [٣] والفارسية [٤]، ومن المحتمل أن يكون عارفاً باللغة اليونانية [٥] أيضاً.

٣. مذهبه

أغلب مؤلّفات الشهرستاني ودراساته وبيئته العلمية والدينية تدلّ على أنّه أشعري في الأصول وشافعي في الفروع [٦]، غير أنّ هناك طعوناً فيه يجب أن نذكرها ثمّ نحاول إلقاء الضوء عليها من كتاباته، وخاصّةً ممّا جاء في تفسيره.

---

١. قال السبكي: «وكان لعلمه يلقّب ـ أيضا ـ بالأفضل.»

٢. *تتمّة صوان الحكمة* / ١٣٩.

٣. إنّها ظاهرة تلفت النظر كثيراً أن يستطيع رجل عاش في بيئة غيرعربية ودرس على أساتذة غير عرب أن يمتلك ناصية اللغة العربية إلى هذا الحدّ المشهود في مؤلّفاته العربية، ثمّ يعتلي كرسيّ الوعظ في بغداد ليتحدّث إلى عامّة الناس إضافة إلى العلماء. استشهاده بالشعر في كتاباته وحديثه وبالأمثال العربية يبيّن مدى تمكّنه من الأساليب الأدبية الرفيعة، كما أنّ تأثّره بأسلوب نصوص أئمّة آل البيت وخاصّة بأدعيتهم واضح. غير أنّ الأساليب الفارسية ذات تأثيرٍ بيّنٍ في تعبيره؛ وهذا الجانب من أسلوب الشهرستاني يحتاج إلى دراسة مستقلّة.

٤. النصّ الوحيد الموجود من الشهرستاني بالفارسية هو مجلسه المنعقد بخوارزم (ترجمناه إلى العربية في ملحق هذه الدراسة) والنصّ الفارسي يمثّل ذروة الجمال في التعبير، وذروة التمكّن من اللغة الفارسية. يتضمّن النصّ عبارات عربية كثيرة ممّا يبيّن من جهة أخرى اطّلاع المستمعين على اللغتين العربية والفارسية؛ وما كان ذلك إلّا بفضل الإسلام الذي جعل أهمية اللغة العربية باعتبارها لغة الدين لاتقلّ عن أهمية اللغة الفارسية باعتبارها اللغة الأمّ.

٥. احتمل ذلك المستشرق «هاربروكر» الألماني: فقد ذكر في مقدّمة الترجمة الألمانية لكتاب *الملل والنحل* سنة ١٨٥٠م أنّ الشهرستاني ينسب إلى ديمقريطيس أقوالاً صحيحة غير موجودة في النصوص العربية المترجمة. انظر: مقدّمة بدران لكتاب *الملل والنحل* / ٧٥.

٦. انظر: *وفيات الأعيان* ٣ / ٤٠٤ و *مرآة الجنان* ٣ / ٢٨٩.

أقدَمُ نصٍّ وصل إلينا عن الشهرستاني من معاصر له هو الإمام ظهير الدين أبي الحسن عليّ بن أبي القاسم زيد البيهقي (ت ٥٦٥ هـ) لايخلو من إشارة إلى أنّ صاحبنا سلك طريقاً يخالف الطريقة السائدة آنذاك في الدراسات الإسلامية.

يقول البيهقي: «وكان (الشهرستاني) يصنّف تفسيراً ويأوّل الآيات على قوانين الشريعة والحكمة وغيرها؛ فقلت له: هذا عدول عن الصواب، لايفسَّر *القرآن* إلّا بتأويل السلف من الصحابة والتابعين، والحكمة أمر هو بمعزلٍ عن تفسير *القرآن* وتأويله، خصوصاً ما كنت تأوّله، ولاتجمع بين الشريعة والحكمة أحسنَ ممّا جمعه الإمام الغزالي ـ رحمه الله ـ، فامتلأ من ذلك غضباً.»[1]

وثمّة نصّ آخر نقله لنا ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) عن معاصر آخر للشهرستاني هو أبو محمّد محمود بن محمّد بن عبّاس بن أرسلان الخوارزمي، قال في كتابه *تاريخ خوارزم*: «ولولا تخبطه في الاعتقاد وميله إلى هذا الإلحاد لكان هو الإمام، وكثيراً ما كنّا نتعجّب من وفور فضله وكمال عقله، وكيف مال إلى شيءٍ لا أصل له، واختار أمراً لادليل له، لا معقولاً ولا منقولاً؛ ونعوذ باللّه من الخذلان والحرمان من نور الإيمان وليس ذلك إلا لإعراضه عن نور الشريعة واشتغاله بظلمات الفلسفة، وقد كان بيننا محاورات ومفاوضات؛ فكان يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذبّ عنهم؛ وقد حضرت عدّة مجالس من وعظه؛ فلم يكن فيها لفظ قال اللّه، ولا قال رسول اللّه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، ولاجواب المسائل الشرعية، واللّه أعلم بحاله.»

ثمّ قال: «سمعت محمّد بن عبد الكريم يقول: سئل يوماً في محلّة ببغداد عن سيّدنا موسى ـ عليه السلام ـ فقال: التفت موسى يميناً ويساراً؛ فما رأى مَن يستأنس به صاحباً ولا جاراً؛ فآنس من جانب الطور ناراً.

خرجنا نبتغي مكـ ـةَ حجّاجاً وعمّاراً
فلما بلغ الحيرة حاذى جملي ناراً
فصادفنا بها دَيراً ورُهباناً وخمّاراً»[2]

---

١. *تتمّة صوان الحكمة* / ١٤٠. ٢. *معجم البلدان* ٥ / ٣١٤ - ٣١٦.

أبو سعد السمعاني (ت ٥٦٢ ق) معاصر آخر للشهرستاني أشار إلى أنّه «متّهم بالإلحاد والميل إليهم؛ غال في التشيّع.»[١]

السُّبْكي (ت ٧٧١ هـ) في *طبقات الشافعية* يروي الأبيات المذكورة أعلاه عن ابن الصلاح في الطبقات أنّه سمع الشهرستاني يقول: «سئلت ببغداد في المجلس عن موسى» إلى آخر الحكاية ثمّ يقول السبكي: «وفي تاريخ شيخنا الذهبي أنّ ابن السمعاني ذكر أنّه كان متّهماً بالميل إلى أهل القلاع ـ يعني الإسماعيلية ـ والدعوة إليهم، والنصرة لطاماتهم، وأنّه قال في *التحبير*[٢] إنّه متّهم بالإلحاد والميل إليهم. غال في التشيّع.» ثمّ يعلّق السبكي على قول السمعاني: «فأمّا *الذيل*[٣] فلا شيء فيه من ذلك، وإنّما ذلك في *التحبير*، وما أدري من أين ذلك لابن السمعاني؛ فإنّ تصانيف أبي الفتح دالّة على خلاف ذلك.»[٤]

تصانيف أبي الفتح إذن ـ كما يقول السبكي ـ تدلّ على خلاف ما اتّهمه السمعاني بالإسماعيلية والغلوّ في التشيّع؛ والحقُّ ما يقوله السبكي؛ ففي *الملل والنحل* يذكر أنّه دخل في نقاش ومناظرة مع الإسماعيليين، لكنّهم «لم يتخطّوا عن قولهم: أفنحتاج إليك؟ أو نسمع منك أو نتعلّم عنك؟»[٥]

وفي القاعدة العشرين من كتابه *نهاية الإقدام في علم الكلام* يدافع الشهرستاني عن رأي أهل السنّة في الخلافة ويردّ على معارضيهم.[٦]

وفي تفسيره هذا ـ *مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار* ـ يورد مرّات حديث افتراق الأمّة على ثلاث وسبعين فرقة، وأنّ الناجية منها أهل السنّة والجماعة.[٧]

فلماذا توجّهت إلى الشهرستاني إذن تهمة الإسماعيلية والغلوّ في التشيّع؟ أعتقد أنّ ذلك يعود إلى أسباب:

---

١. *التحبير في المعجم الكبير* / ١٦١.

٢. هو *التحبير في المعجم الكبير*، نُشِرَ في بغداد بجزئين، بتحقيق منيرة ناجي سالم.

٣. المقصود به *الذيل على تاريخ بغداد* توجد منه مختصرات في مكتبات العالم. *التحبير*، ١ / ٣١ (الهامش): *أبو سعد السمعاني وكتاب التحبير*، منيرة ناجي سالم / ٢٧٥.

٤. *طبقات الشافعية* / ١٢٨ ـ ١٣٠.

٥. *الملل والنحل*، بدران ١ / ١٧٨.

٦. *نهاية الإقدام* / ٤٩٣ ـ ٤٩٤.

٧. الورقة ٢٧٠آ.

الأوّل: اتّجاهه النقدي للمذاهب الكلامية الإسلامية وعدم التزامه بـالتوجّه الأشـعري السائد في زمانه. فالرجل توفّرت فيه مؤهلات ذاتية واكتسابية جعلته يبحث عن الحقيقة بمعزلٍ عن التقليد.

ويظهر أنّه اتّجه في بداية حياته العلمية إلى الفلسفة، وهو اتّجاه فيه لون من التحدّي؛ لأنّ الجوّ الذي عاش فيه تأثـر بالموجة التي قادها الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) على الفلسفة المشّائية ممثّلة في ابن سينا؛ ولعلّ عبارة الخوارزمي: «فكان يبالغ في نصرة مذاهب الفلاسفة والذبّ عنهم» تشير إلى هذه الفترة من حياة أبي الفتح.

يبدو من مؤلّفاته الموجودة ـ خاصّةً *نهاية الإقدام* و *مصارعة الفلاسفة* ـ أنّـه تـعمّق فـي الفلسفة واستوعبها وأضاف إليها حتّى عدّه بعض المعاصرين بأنّه «آخر فيلسوف عظيم قبل ابن رشد» وكان «ذا أصالة فكرية»[1].

ثمّ حدث التحوّل عند الشهرستاني حين تتلمذه على يد أبي القاسم الأنـصاري. فـهذا الأستاذ كان ملتزماً بمبدأين تأثـر بهما تلميذه: عدم زجّ العقل في ما يقصر عن دركه، وفهم الدين وِفقَ أسرار أهل بيت رسول اللّه.

بشأن المبدأ الأوّل يقول الشهرستاني: «وكثيراً ما كنّا نراجع أستاذنا وإمامنا ناصر السنّة، صاحب *الغنية وشرح الإرشاد* أبا القاسم سليمان بن ناصر الأنصاري في المسألة (مسألة قدم العالم أو حدوثه) فيتكلّم عليها، ومايزيد فيها على أنّ إثبات وجه فاعلية الباري سبحانه ممّا يقصر عن دركه عقول العقلاء»[2] وبالنسبة إلى المبدأ الثاني الذي أخذه أبو الفتح عن أستاذه فهو يمثّل قاعدة مدرسته الفكرية؛ وسنتحدّث عنه في مفاتيح أسرار الشهرستاني.

استناداً إلى هذين المبدأين وجّه الشهرستاني نقداً عنيفاً إلى الفلاسفة والمتكلّمين في مسائل الخالق والخلق والنبوّة في كتبه ورسائله ومجالسه، وخُيّل لمعظم من ترجـم له أو كتب عنه أنّ أبا الفتح إنّما فعل ذلك دفاعاً عن المذهب الأشعري، لكنّه يصرّح في *مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار* أنّ الأشاعرة والمعتزلة كلاهما وقعا في خبطٍ وعـمايةٍ. يـقول فـي

١. وليم كيورتن في مقدّمته الألمانية لكتاب *نهاية الإقدام*. ط ١، ص ٩ ـ ١٠.
٢. *نهاية الإقدام* / ٣٨.

حروف القرآن: «والأشعري قال: إنّ الحروف محدثة والأمر قديم، والمعتزلي قال: إن الحروف والأمر محدثة؛ وكلّ ذلك خبطٌ ورميٌ في عمايةٍ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.[١]»[٢]

وعن كلام المتكلّمين في توجيه إنزال *القرآن* وتنزيل الكتاب، يذكر رأي الأشاعرة ثمّ رأي المعتزلة، ثمّ رأي الكرّامية ويقول عنه أنّه «أشنع و أفحش»، ثمّ يعلّق على أقوالهم: «فأين كلام السلف الصالحين وأين ذلك الكتاب الذي هو هدًى للمتّقين»[٣] وأمثال ذلك كثير من المواضع التي يردّ فيه على الأشاعرة كما يردّ على سائر المتكلّمين.

الثاني: من أسباب ما توجّه إليه من اتّهام هو إيمانه بوجوب الرجوع إلى عليّ وآل بيت رسول اللّه ـ عليهم السلام ـ في تلقّي أصول الدين وفروعه، وإيمانه بوجود أسرار تستطيع أن تكون مفاتيح حلّ كلّ ما أشكل على الحكماء والمتكلّمين المسلمين، وسنذكر ذلك عند حديثنا عن «مفاتيح الأسرار» في تفسير الشهرستاني.

الثالث: من أسباب اتّهامه ترديده بعض العبارات الموهمة بالغلوّ؛ ففي هذا التفسير يقف الشهرستاني عند قوله سبحانه ﴿وَ إِذْقُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[٤] و يذكر آراء المفسّرين الذين أوّلوا السجود لآدم بمعانٍ مختلفة كي لايقع السجود لغير اللّه سبحانه، ثم يقول في الأسرار: «فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً فيتحيّرون في السجود لآدم كيف كان، و على أيّ تأويل كان، ولا يعلمون أن السجود لآدم ـ عليه السلام ـ سجود للّه: بل السجود للّه مالم يقترن بالسجود لآدم لم يكن سجوداً للّه، كما أنّ كلمة لا إله إلّا اللّه مالم تقترن بكلمة محمّد رسول اللّه لم تكن كلمة الشهادة والإخلاص».[٥]

و في عبارة سابقة يتجاوز هذا الحدّ، فيذكر أنّ الأرض لاتخلو من عباد اللّه المخلصين الذين اصطفاهم اللّه تعالى و قرّبهم وأدناهم، ويقول عن هؤلاء أيضا: «أنّ السجود لهم سجود للّه».

ولابدّ من تأويل هذه العبادات لكي تنسجم مع اتّجاه الشهرستاني في إخلاص العبودية للّه.

---

١. النساء / ٨٣. ٢. الورقة ٥٠ آ. ٣. الورقة ٦٠ ب.
٤. البقرة / ٣٤. ٥. الورقة ١١٢ آ.

ويدفعنا إلى هذا التأويل أنّه:

۱. في مقدّمة تفسيره ينقل عدداً من الروايات عن الامام الصادق ـ عليه السلام ـ في رفض الغلو و ذمّ الغلاة ووصفهم بالشرك.[۱]

۲. تفسيره يدلّ على رفض كل ما تشمّ منه رائحة الشرك في أقوال الحكماء والفلاسفة، و تأكيده في مواضع كثيرة أنّ الايمان لايصحّ إلاّ إذا كان وفق ماجاء في القرآن والسنّة.

۳. ينقل هو في تفسيره رواية دخول معاذ على رسول اللّه ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بعد عودته من اليمن وسجوده للرسول «فتغيّر وجه رسول اللّه وسأل عن ذلك فقال: رأيت اليهود والنصارى يسجدون لأحبارهم فقال ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ «كذب اليهود والنصارى إنّما السجود للّه تعالى.»

والتأويل يقتضي أن نعتبر قصد الشهرستاني من السجود ليس هو الذي أُمرنا به للّه سبحانه، بل هو الخضوع التامّ لإمام العصر، وللوليّ الحقّ في كلّ زمان.

رأيه في الإمامة

ثمّة ملاحظات عديدة في هذا التفسير تستدعي الوقوف عند رأي الشهرستاني في الإمامة، وهي من أهمّ المسائل التي افترق فيها المسلمون، ولايزال الاختلاف فيها قائماً، لا على المستوى التاريخي فحسب؛ بل على الصعيد العملي القائم.

الملاحظة الأولى: أنّ المفسّر لايكتفي بالولاء المطلق لعليّ بن أبي طالب، بل يثبت له الوصاية والإمامة. نجد ذلك على سبيل المثال في تفسير قوله سبحانه: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾[۲] و في تفسير آيات قصة طالوت وجالوت (الآيات ۲٤٦ ـ ۲٥۱ من سورة البقرة). وفي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ﴾[۳].

الملاحظة الثانية: أنّه يؤمن باقتران الإمامة بالعلم، فإمامة عليّ ـ عليه السلام ـ تقوم على أساس علمه، ولذلك نرى في تفسير الشهرستاني اهتماماً كبيراً بعلم أمير المؤمنين. يذكر النصوص عن الصحابة في مكانته العلمية، ويكرّر حديث الثقلين مراراً، في إشارة إلى أنّ «العترة» هي عدل «*القرآن*» في المرجعية العلمية للمسلمين.

---

۱. الورقة ۲٦ آ و ب. ۲. البقرة / ۱۸۹. ۳. البقرة / ٤٠.

المسلم

وفي نهاية «مفاتيح الفرقان» يورد عدداً من الروايات والنصوص في هذا الشأن. ويكرّر مرّات في تفسيره أنّ كلّ ما أصاب المسلمين من تحيّر و تشتّت في مسائل العقيدة والشريعة «لأنّهم لم يأتوا العلم من بابه، ولم يتعلّقوا بذيل أسبابه، فانغلق عليهم الباب، وتقطّعت بهم الأسباب.» [١]

الملاحظة الثالثة: أنّ الشهرستاني يرى أنّ الانحراف في إمامة المسلمين بدأت على يد بني أمية، وهي الشجرة الملعونة التي «دفعت جماعة أولياء اللّه عن حقّهم وقتلت جماعة أولياء اللّه بغير حقّ.» [٢] «وهي أحقاد الجاهلية لبني أمية اجتمعت وظهرت بقتل آل بيت المصطفى ـ صلوات الله عليه وآله ـ الذين هم عيش العلم وموت الجهل.» [٣] ويرى أنّ هذا الانحراف عن الإمامة مستمر إلى زمانه: «وتلك السحابة السوداء بعد باقية حتى يبلغ الكتاب أجله ويستوفي كلّ منهم عمله.» [٤]

الملاحظة الرابعة: أنّه يرفض موقف «الشيعة المنتظرة الذين لم يقولوا إلّا بالإمام الغائب المنتظر» [٥] وهذا في اعتقادنا لايعني رفض عقيدة الشيعة في الإمام الغائب المنتظر، بل يعني أنّ انتظار المهدي (عج)، وهو عقيدة عامّة المسلمين، لاينفي وجوب تولّي إمامة الأمّة (في زمن غياب الإمام المعصوم) الصالحون المخلصون الذين يحملون مسؤولية الرسالة، ولايجوز ـ في رأيه ـ الاكتفاء بالانتظار وترك أمور المسلمين بيدالفسقة الفجرة. (وهو رأي يقترب كثيراً من نظرية ولاية الفقيه).

نعتقد أنّ الشهرستاني وقف من كلّ المذاهب والفرق، بعد أن استوعبها استيعاباً يشهد عليه كتابه: *الملل والنحل* ، موقف العالم الباحث عن الحقيقة، فوجَدَ أنّ الإسلامَ يتجسّد في شخصية عليّ وآل بيته، ووجدَ أنّ هؤلاء ورثة علم النبيّ في الأصول والفروع، وليس من الصعب على مسلم ينهج طريق أهل السنّة والجماعة أن يتوصّل إلى هذه النتيجة من مضامين نصوص الصحاح والمسانيد. وهذا دفعه إلى البحث عن علوم آل البيت في مختلف المصادر، وذكر رجوعه إلى *الكافي*، و*تفسير العيّاشي*، ولا نستبعد رجوعه أيضا إلى مصادر إسماعيلية، وأخذه منها ما اعتقده أنّه من علوم آل محمّد. ومن المحتمل جدّاً أن يكون

---

١. الورقة ٢٦ آ. ٢. الورقة ١٥٤ ب. ٣. الورقة ١٠٠ آ.
٤. الورقة ١٠٠ آ. ٥. الورقة ١٢١.

للمصادر الإسماعيلية سهم فيما ذكره من أسرار، معتبراً إيّاها من مصادر علوم أهل البيت.

بعبارة أخرى: يُفهم من كلام الشهرستاني أنّه اتّجه لأن يكون من الفرقة الناجية، وهي ـ كما يراها ـ فرقة أهل السنّة والجماعة، ثمّ إنّ مذهب أهل السنّة والجماعة ليس بالذي فرزته عقول الرجال على مرّ العصور، بل هو كما قال رسول اللّه (ص) «ما أنا عليه اليوم وأصحابي». ولا يمكن معرفة ماكان عليه رسول اللّه وأصحابه إلّا عن طريق مَنْ ورث علومهم، وهم أهل البيت، فهم الخلفاء، وهم الأئمّة، وطريق الإمامة مستمرّ فيمن يرث هذه العلوم.

٤. نسبة التفسير إلى الشهرستاني

هذا التفسير لم يذكره المؤرّخون بين مؤلّفات الشهرستاني وإنّما أشار البيهقي المعاصر للشهرستاني إلى اشتغاله بتفسير وفيه «يأوّل الآيات على قوانين الشريعة والحكمة وغيرها.»[1] وما ذكره المؤرّخون بشأن تأليفات الشهرستاني في حقل التفسير إنّما هو تفسير سورة يوسف بعبارةٍ فلسفيةٍ لطيفةٍ نسبه إليه الخوارزمي؛[2] ولعلّ هذا يعود إلى ما احتمله بعضهم أنّ هذا التفسير كُتب خلال عزلة الشهرستاني في أواخر حياته بمسقط رأسه «شهرستان» بعد أن انهزم سنجر أمام القراخطائية في قطوان؛[3] ولذلك لم يشتهر هذا التفسير بين معاصري الشهرستاني من العلماء الذين كتبوا عنه وهم: الخوارزمي والبيهقي والسمعاني، ولم يشتهر في المصادر التي أخذت كلَّ ما أخذت عن الشهرستاني من هؤلاء الرجال الثلاثة.

وأقدم مَن وجدتُه يذكر اسمَ هذا التفسير محمّد باقر المجلسي (ت ۱۱۱۱ هـ) في كتابه *بحار الأنوار*؛ فقد قال في باب أنّهم ـ عليهم السلام ـ الذكر وأهل الذكر: «قيل: المراد بأهل الذكر أهل العلم، وقيل: أهل الكتاب، وستعلم من الأخبار المستفيضة أنّهم الأئمّة ـ عليهم السلام ـ، لوجهين: الأوّل أنّهم أهل علم القرآن والثاني: أنّهم أهل الرسول، وقد سمّاه اللّه ذكراً في

---

١. *تتمّة صوان الحكمة* / ١٤٠. ومن المحتمل أنّ البيهقي يشير إلى مرحلة متقدّمةٍ من اشتغال الشهرستاني بالتفسير، وهذا التأليف يمثّل آخر مراحل النضج التفسيري للمؤلّف. راجع ما ذكرناه في هذا المجال تحت عنوان: دافعه في التفسير.

٢. انظر: معجم *البلدان* ٥ / ٣١٦.

٣. انظر: مقدّمة *الملل والنحل* لجلالي نائيني / ٤٢.

قوله: ﴿ذِكْراً رَسُولاً﴾[١] وهذا ممّا روته العامّة أيضاً. روى الشهرستاني في تفسيره المسمّى بـ*مفاتيح الأسرار* عن جعفر بن محمّد ـ عليهما السلام ـ»[٢] ونقل الرواية المذكورة في الفصل الثاني عشر لمفاتيح الفرقان من هذا التفسير إلى آخر قول عليّ: «نحن أهل الذكر.»

ثمّ نجد أبا عبد اللّه الزنجاني (ت ١٣٦٠ هـ) أوّل باحث معاصر في تاريخ النصّ القرآني ـ كما يقول جفري ـ[٣] وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق يعتمد على هذه النسخة من تفسير الشهرستاني في كتابه *تاريخ القرآن* في مواضع عديدة؛ فينقل عنه رأيه في معنى الأحرف السبعة، وفي الهامش يعرّف الشهرستاني ويقول: «وله كتاب في التفسير اسمه *مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار* وهو تفسير جليل مخطوط، منه نسخة موجودة في دار الكتب في برلمان إيران.»[٤] وفي الصفحة ٥٤ ينقل رأي الشهرستاني في اختصاص علم القرآن بأهل البيت؛ وفي الصفحة ٧٥ ينقل رأيه في تأييد علي للمصحف العثماني؛ وفي الصفحة ٨٣ ينقل ماذكره الشهرستاني بشأن ترتيب مصحف عبد اللّه بن عبّاس ويقول: «فآثرنا نقلَ ترتيبِ مصحفه كما ذكره الشهرستاني في مقدّمة تفسيره وهو سند أمين». وينقل في الصفحة ٨٥ وما بعدها ما رواه الشهرستاني بشأن ترتيب مصحف الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ ونقل في ص ٨٧ رواية الشهرستاني عن كتاب *الاستغناء* بشأن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي﴾.[٥]

كما ذكر هذا التفسير أيضاً بروكلمان في *تاريخ الأدب العربي*[٦]؛ وعن بروكلمان نقل الكتّاب والمحقّقون المعاصرون الذين ترجموا للشهرستاني؛ ولم يذكر بروكلمان سوى النسخة التي نتناولها في هذه الدراسة والتحقيق.

والتفسير في أسلوبه ومحتواه ينسجم مع بقيّة مؤلّفات الشهرستاني؛ فلأبي الفتح أسلوبه الخاصّ الذي لا يخفى على دارس كتبه، ويكاد المطّلع على هذا الأسلوب يقطع بأنّ أسلوب هذا التفسير هو ذاته أسلوب الشهرستاني في كتبه ورسائله الأخرى من حيث المفردات،

---

١. الطلاق / ١٠ و ١١.　　٢. *بحار الأنوار*، ٢٣/ ١٧٢.
٣. مقدّمة *المصاحف* لأبي داود / ٣؛ ونقل جفري تسلسل تفسير الشهرستاني عن كتاب الزنجاني P330 .Materials,
٤. تاريخ القرآن، ص ٤٥.　　٥. الحِجر / ٨٧.
.*Brock*. S. 1: 762.

وتركيب الجمل، وتفريع الموضوعات، والاستشهادات الأدبية والحديثية.

أمّا المحتوى وخاصّةً ما يرتبط بالمقدّمة (مفاتيح الفرقان) والأسرار فهي على نهج الشهرستاني في نقد المذاهب وفي الالتزام *بالقرآن* والسنّة، وفي حديثه عن الفرق بين زلّة آدم وزلّة إبليس، وعن المقابلة بين الصابئة والحنفاء، وعن تشابه ما يجري على هذه الأمّة مع الأمم السالفة، وعن مسألة النبوّة والنزاع فيها أو إنكارها، وفي التأثّر *بنهج البلاغة* لأمير المؤمنين عليّ ـ عليه السلام ـ وأدعية الإمام السجّاد عليّ بن الحسين ـ عليه السلام ـ وبأحاديث الإمام جعفربن محمّد الصادق ـ عليه السلام ـ وفي موضوع التضادّ والترتّب في الناس، وفي مسائل الخلق والأمر وتوسّط الملائكة في الخلق وتوسّط الأنبياء في الأمر، وفي موضوع المفروغ والمستأنف وأمثال ذلك كثير ويحتاج إلى دراسة مستقلّة.

٥. دافعه في التفسير

الشهرستاني في مقدّمته يشير بِشَكلٍ رمزيٍ إلى دافعه في التفسير، ويظهر منها أنّه كان منذ نُعومَةِ أظفارِهِ يتلقّى تفسيرَ *القرآن* من مشايخه: «ولقد كنتُ على حداثة سنّي أسمع تفسير *القرآن* من مشايخي سماعاً مجرّداً» والجوّ الفكري الذي تلقّى فيه *القرآن* لم يكن يسمَحُ بالغوصِ في معانيه، بل كان التفسير بالمأثور في إطار أحاديث أهل السنّة والجماعة هو الشائع في المدرسة الأشعرية، وهذا المقدار من فهم *القرآن* لم يكن يُرضي صاحبَنا؛ فبدأ يتطلّع إلى ماوراء الألفاظ من معانٍ. «ثمّ تطلّعتُ من العبارة إلى المعنى فوجدتُه بحراً لاتُفنى عجائبهُ ولا تنفدُ غرائبهُ؛ بحراً بعيداً غورُه، مديداً قعرُه، بحراً من الكلماتِ القدسيّة يمدُّهُ سبعة أبحر.»[1] ثمّ يسجّل ملاحظته بشأن تفسير عصره بشكلٍ رمزيٍ أيضاً؛ فيقول: إنّ بعض مجالات *القرآن* العميقة المليئة بالمعاني لم يطرقها المفسّرون إلّا قليلاً، بينما انهال المفسّرون في خوض الأبعاد السهلة من *القرآن*؛ فيواصل العبارة السابقة ويقول: «بُحراً مُلئن درّاً والغوّاصُ واحد، وبُحراً مُلئن غوّاصين والدرُّ واحد»[2] وهنا يهمّ الشهرستاني أن يلج الغمار الصعبة للقرآن، فيرى نفسَه بين أمرين:

---

١. الورقة ٢آ.
٢. نفس الورقة.

الأوّل أن يخوض فيه بما لديه من علوم الفلسفة والحكمة، ولكنّه كان يشعر بقصور هذ العلوم عن بلوغ فهم أعماق *القرآن*: «فطفقتُ أرتأي بين أن أخوضَ سباحةً و اليدُ جذّاء والساحلُ بعيد»[١] ويبدو أنّه قام مدّة بهذه العملية كما يذكر البيهقي.[٢]

والطريق الثاني أن يطلب سفينةً يخوض بها غمارَ البحر.

والسفينة، كما يظهر من القرائن الأخرى في التفسير هي علوم آل محمّد؛ فالشهرستاني يذكر حديثَ السفينة في التفسير، ويؤكّد في مواضع عديدةٍ على أنّ ما أصاب الأمّةَ عامّةً والمفسّرين والمتكلّمين بشكلٍ خاصٍّ من ضَياعٍ وحَيرةٍ إنّما هو بسبب عدم رجوعهم إلى أهل البيت. ثمّ هو يذكر أنّ نقطة التحوّل في فهمه للقرآن كانت على يد أُستاذه أبي القاسم سلمان بن ناصر الأنصاري الذي أطلعه على «أسرار دفينة وأصول متينة في علم *القرآن*»[٣] من خلال «كلمات شريفة عن أهل البيت وأوليائهم.»[٤]

ويظهر من إشارات الشهرستاني أنّه لم يحصل على تصوّر قرآني كامل من أستاذه الأنصاري مما تلقّاه عليه من علوم أهل البيت؛ إذ كانت هذه العلوم محاربةً من الأعداء، ومكتومةً كي لاتصل إليها أيدي المخالفين.

وهذا المفهوم يبيّنه الشهرستاني بالعبارة التالية؛ فهو بعد أن يذكر الطريق الأوّل المتمثّل بالسباحة يقول: «وبين أن أطلب سفينةً وقد غصبها الغاصبُ أو خرقها العالم»[٥] بهذه الإشارة إلى سفينة المساكين التي كانت معرّضةً لغَصبِ الغاصبين والتي خرقها الخضر في قصّته مع موسى[٦]، يشير إلى عدم استطاعته الحصولَ على علوم أهل البيت كاملةً. ثمّ بعد ذلك يذكر جدَّه واجتهادَه في الحصول على هذه العلوم كاملةً، بعد أن عرف المصدر الذي يجب أن يتّجه إليه فيقول: «وناداني مَن هو في شاطئ الوادي الأيمنِ في البُقعةِ المباركة من الشجرة الطيّبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[٧] فطلبت الصادقين طلب العاشقين.»[٨]

١. نفس الورقة.
٢. راجع مذهب الشهرستاني في هذه الدراسة.
٣. الورقة ١ ب.
٤. الورقة ١ ب.
٥. الورقة ٢ آ.
٦. راجع الملحق ـ ١ في هذه الدراسة.
٧. التوبة / ١١٩.
٨. الورقة ١ ب.

ثمّ بعد هذا المطاف عثر على من يهديه إلى هذه العلوم: «فوجدتُ عبداً من عباد اللّه الصالحين كما طلب موسى ـ عليه السلام ـ مع فتاه ﴿فَوَجَدَا عَبْداً مِن عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِن عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَدُنَّا عِلْماً﴾[1] فتعلّمتُ منه مناهجَ الخلق والأمر، ومدارجَ التضادّ والترتّب، ووجهَي العموم والخصوص وحكمَي المفروغ والمستأنَف، فشَبِعتُ من هذا المعا الواحدِ دون الأمعاء التي هي مآكل الضّلال ومداخل الجهّال.»[2]

وهذا الذي تعلّمه الشهرستاني من هذا العبد الصالح يشكل أهمّ أجزاء تفسيره ، وهي التي يطلق عليها اسم «الأسرار».

ممّا سبق نفهم دافع الشهرستاني في هذا التفسير وهو بعبارةٍ موجزةٍ: التعمُّق في فهمِ القرآنِ من خلالِ ما وصل إليه من علومِ أهلِ البيت ـ عليهم السلام ـ.

٦. اسم التفسير

اسم التفسير يُعبرّ عن دافع المؤلّف في تفسيره هذا، وعن منهجه في تناول المسائل القرآنية؛ وهو يتكوّن من إضافتين:

الأولى «مفاتيح الأسرار»: والأسرار المذكورة في هذا العنوان هي التي أشرنا إليها في دافعه في التفسير، وبينّا أنّها العلوم التي تلقّاها في التفسير باعتبارها من علوم أهل البيت؛ وسيأتي الحديث عن مفاتيح هذه الأسرار؛ ولابأس أن نشير هنا إلى أنّ الشهرستاني يذكر هذه الأسرار على أنّها العلوم التي أودعها رسول اللّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ عند عليّ، ومِن ثَمّ انتقلت إلى أهل بيته؛ وفي هذا المجال حديثٌ مِن طرق أهل السنّة يشير إلى وجود أسرار للرسالة وإلى أنّ عليّاً ـ عليه السلام ـ موضع هذه الأسرار؛ فقد أخرج الطبراني بالإسناد إلى سلمان الفارسي قال: قال رسول اللّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «إنّ وصيّي وموضع سرّي، وخير من أترك بعدي، ينجز عدتي ويقضي ديني، عليّ بن أبي طالب.»[3]

الثانية: «مصابيح الأبرار»: ويكاد الذهن المأنوس بالحديث والتفسير لاينصرف عند

---

١. الكهف / ٦٥.　　٢. الورقة ١ ب.

٣. انظر: *المراجعات* / ٣٠١؛ و*كنز العمّال*، ١٥٤/٦ الحديث ٢٥٧٠ ط ١؛ وفي منتخب *كنز العمّال* بهامش مسند أحمد، ٣٢/٥ عن جابر، قال ابن كثير: غريب جداً بل منكر: «إنّ وصيّي» إلى آخر الحديث.

سماع كلمة «الأبرار» إلى غير أهل البيت؛ فأهل التفسير والحديث ذكروا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزاجُهَا كَافُوراً عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً يُوفُون بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جِزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُوراً﴾[١] أنّها نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ بمناسبة قصّة صيامهم ثلاثة أيّام وتصدّقهم خلال تلك الأيّام الثلاثة على المسكين واليتيم والأسير؛[٢] ممّا تقدّم نفهم مدى انطباق الاسم على الدوافع في هذا التفسير.

٧. منهجه في التفسير

قال الشهرستاني: «فنقلتُ القراءة والنحو واللغة والتفسير والمعاني من أصحابها على ما أوردوه في الكتب نقلاً صريحاً صحيحاً من غير تصرّفٍ فيها بزيادةٍ ونقصانٍ سِوى تفصيل مجملٍ أوتقصير مطوّلٍ، وعقّبتُ كلّ آية ممّا سمعتُ فيها من الأسرار وتوسّمتُها من إشارات الأبرار.»[٣]

بهذه العبارة الموجزة بيّن الشهرستاني منهجه في التفسير. فهو إذن ينتقي من تفاسير عصره: ١. القراءة ٢. النحو ٣. اللغة ٤. التفسير والمعاني ثم يذكر الأسرار.

إضافةً إلى ما سبق يتعرّض في تفسيره إلى النظم بين الآيات أو المناسبة بينها، وأسباب النزول، والقصّة، والفقه.

وفي تفسيره أيضاً يتعرّض لآراء المتكلّمين والفرق الإسلامية، ويبيّن رأيه فيها ويذكر ذلك أحياناً تحت عنوان: «الكلام».

في اللغة: يعتمد الشهرستاني لشرح مفردات *القرآن* على الذين ذكرهم في مقدّمته باعتبارهم مصنّفين في معاني *القرآن*: وهم الفرّاء، والزجّاج، والكسائي، وأبو عبيد، والأخفش، وأبو عبيدة، والمؤرج السدوسي، والنضر بن شميل، والدينوري، وقطرب. كما يعتمد على ما ذكره «جماعة صنّفوا في التفسير وهم يُعدّون من أصحاب المعاني لا من أهل

---

١. *الدهر* / ٥ ـ ٢٢.

٢. انظر: *الكشاف* ٦٧٠/٤؛ *تفسير القرطبي* ١٣٠/١٩؛ *أسباب النزول* / ٢٥١؛ *روح المعاني* ١٥٧/٢٩؛ *أسد الغابة* ٥٣٠/٥ ـ ٥٣١؛ *تفسير النسفي* ٣١٨/٤؛ *شرح نهج البلاغة* (لابن أبي الحديد) ٢١/١ و٢٧٦/١٣؛ *الغدير* ١٠٧/٣ـ١١١.

٣. الورقة ٢ آ.

التفسير» ، وذكر منهم في مقدّمته الحسن بن يحيى بن نصر الجرجاني صاحب *نظم القرآن*، ومحمّد بن القفّال الشاشي المعروف بالقفّال الكبير، ومسلم بن بحر الإصفهاني [١].

إضافةً إلى الأسماء المذكورة في المقدّمة في تفسير الشهرستاني أسماء أخرى في قسم «اللغة» منها: ابن الأعرابي [٢]، وابن الأنباري [٣] وأبو الهيثم [٤]، وثعلب [٥]، وسيبويه [٦]، والخليل [٧]، وأحمد بن فارس [٨]، وابن جرير [٩]، والأزهري [١٠]، والجوهري [١١]، والأصمعي [١٢]، والأخفش [١٣].

---

١. ستأتي تراجمهم في الفصل السابع من مقدمة الشهرستاني.

٢. محمّد بن زياد، أبو عبد الله، المعروف بابن الأعرابي، لغوي نحوي راوية لأشعار القبائل نسّابة، ولد في الكوفة سنة ١٥٠ ق وسمع الشعر من المفضل الضبي، وأخذ عن الكسائي وابن السكيت، توفّي في سرّ من رأى سنة ٢٣١ ق من آثاره: *النوادر، تاريخ القبائل، معاني الشعر وتفسير الأمثال* انظر: *معجم المؤلّفين* ١٠ / ١١ وفيه مصادر ترجمته.

٣. أبو بكر، محمّد بن القاسم الأنباري (٢٧١ ـ ٣٢٨ هـ) من مصنّفاته في هذا المجال *المشكل في معاني القرآن*، لم يكمل. قيل: كان يحفظ ١٢٠ تفسيراً للقرآن بأسانيدها! انظر: *تاريخ آداب اللغة العربية* ١ / ٤٩٠؛ و*معجم المؤلّفين* ١١ / ١٤٣ وفيه مصادر ترجمته.

٤. أبو الهيثم الرازي (١٤١ ـ ٢٢٢ ق) كان عالماً بالعربية، عذب العبارة، دقيق النظر. انظر: *مقدّمة فقه اللغة* / ١٩.

٥. أحمد بن يحيى، الشيباني مولاهم، الكوفي المعروف بثعلب، أبو العباس، نحوي لغوي (٢٠٠ ـ ٢٩١ هـ) له في هذا المجال *معاني القرآن*. انظر: *معجم المؤلّفين* ٢/٢٠٢ وفيه مصادر ترجمته.

٦. عمرو بن عثمان بن قنبر، سيبويه، مؤسّس علم النحو، صاحب *الكتاب* المعروف، توفّي سنة ١٨٠ هـ مصادر ترجمته في *معجم المؤلّفين* ٨ / ١٠.

٧. الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، نحوي لغوي ، أوّل من استخرج العروض، توفّي سنة ١٧٠ هـ، مصادر ترجمته في *معجم المؤلّفين* ١١٢/٤.

٨. أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، أبو الحسين اللغوي المالكي الهمداني، توفّي سنة ٣٩٠ هـ، صاحب التصانيف الكثيرة. انظر: *هدية العارفين* ٦٨/٥.

٩. محمّد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، مفسّر، مقرئ، محدّث، مؤرّخ، فقيه، أصولي مجتهد، توفّي سنة ٣١٠ ق، ترجمته في *معجم المؤلّفين* ١٤٦/٩.

١٠. أبو منصور، محمّد بن أحمد بن طلحة الأزهري اللغوي، توفّي ٣٧٠ هـ صاحب *تهذيب اللغة* المرتّب على أساس مخارج الحروف *كشف الظنون* ٥١٥/١.

١١. إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي، أبو نصر، اللغوي، الأديب، صاحب *تاج اللغة وصحاح العربية* ت ٣٩٣ ق. انظر: *معجم المؤلّفين* ٢٦٧/٢.

١٢. عبد الملك بن قريب بن عبدالملك، أبو سعيد المعروف بالأصمعي، صاحب التصانيف في اللغة والنحو والأخبار والأدب، ت ٢١٦ ق. انظر: *معجم المؤلّفين* ١٨٧/٦.

١٣. ستأتي ترجمته في الفصل السابع من مقدّمة الشهرستاني ضمن أصحاب معاني *القرآن*.

ويبدو من القرائن الموجودة في التفسير أنّ الشهرستاني رجع في اللغة إلى المصادر التالية: ١. *تهذيب اللغة* للأزهري ٢. *صحاح اللغة* للجوهري ٣. *العين* للخليل. ٤. *المجمل* ومعجم *مقاييس اللغة* لابن فارس ٥. تفسير ابن جرير الطبري ٦. *التفسير الكبير* للقفّال ٧. تفسير أبي مسلم محمّد بن بحر ٨. *نظم القرآن* للحسن بن يحيى الطوسي؛ ويلفت النظر أنّ معاصره الطبرسي استفاد في مجال اللغة وفي مجال النحو من ذات المصادر التي عوّل عليها الشهرستاني مع اختلاف بينهما في طريقة النقل؛ فيوجز الشهرستاني أحياناً ما نقله الطبرسي مفصّلاً ويحصل العكس أحياناً أخرى.

وفي النحو: ينقل الشهرستاني المسائل النحوية من مصادر قد اعتمد عليها الطبرسي أيضاً، ويظهر من تشابه التسلسل في نقل أقوال أئمّة النحو، واختلافهما في التفصيل والإيجاز أنّهما ينقلان من مصادر تفسيرية واحدة، لكن الطبرسي في هذا المجال يبدو أكثر عمقاً ونضجاً وتبويباً في النقل.

في القراءات: ينقل الشهرستاني القراءات بنفس الترتيب الذي ينقله صاحب *مجمع البيان* غير أنّه يوجز كثيراً ولايذكر الحجّة أحياناً، كما في قراءة «خطْوات» و «خطُوات»[1] كما أنّه يذكر الحجّة أحياناً ولايذكرها الطبرسي، كما في قراءة «دفاع اللّه»[2] وفي مواضع أخرى يتشابهان في النقل كما في قراءة «العفو»[3]

وفي التفسير والمعاني: يضع الشهرستاني أحياناً للتفسير عنواناً منفصلاً عن المعاني، وأحياناً يذكر التفسير والمعاني تحت عنوان واحد لما بينهما من ارتباط.

في التفسير يرجع إلى أقوال الصحابة والتابعين ويذكرها بتفصيلٍ كما تذكرها كتب التفسير بالمأثور؛ وكثرة الرواية عن ابن عبّاس واضحة فيه، كما أنّ النقل عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق ـ عليه السلام ـ يفوق ما هو مشهود في أكثر كتب تفسير أهل السنّة؛ والروايات جميعاً مرسلة.

وإضافةً إلى ما ينقله عن الصحابة والتابعين يذكر آراء المفسّرين كالطبري والقفّال.

---

١. البقرة / ١٦٨، راجع ما ذكره صاحب مجمع *البيان* في حجّة هذه القراءة ١ / ٢٥١ ـ ٢٥٢.

٢. البقرة / ٢٥١.

٣. البقرة / ١١٩، انظر الورقة ٣٥٦ ب من تفسير الشهرستاني ومجمع *البيان* ١ / ٣١٤.

وفي معاني *القرآن* يذكر الوجوه المختلفة للكلمة القرآنية بتفصيل نسبياً، وينقل المعاني عن الفرّاء، وابن فارس، والقفّال، والحسين بن الفضل البجليّ؛ ويظهر أنّه ينقل المعاني عن هؤلاء من كتبهم مباشرةً.

والشهرستاني يثبت بهذا النقل الواسع لآراء المفسّرين من الصحابة والتابعين وغيرهم أنّه يرفض التفسير بالرأي، ويلتزم طريق التفسير بالمأثور؛ وسنرى أنّه في ذكره للأسرار يلتزم نفس النهج ذاهباً إلى أنّ هذه الأسرار من علوم رسول اللّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ المستودعة لدى أهل بيته.

والنظم بين الآيات: أو المناسبة بينها علمٌ أفرد له الباحثون في علوم *القرآن* أبواباً خاصّةً؛[1] ويرتبط بمسألة الترتيب التوقيفي للقرآن. فالمفسّر الذي يبحث عن المناسبة بين كلّ آية وما سبقها لابدّ أن يؤمن مسبقاً بوجود ارتباط بين هذه الآيات، ولايحصل هذا الاتباط إلّا إذا كان ترتيب الآيات فيه يقوم على أساس توجيهٍ خاصٍّ. من هنا لابدّ أن يكون صاحبنا قد آمن سلفاً بأنّ ترتيب الآيات الموجود في *القرآن* توقيفي تمّ بتوجيه النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ.

ويبدو أنّ القفّال اهتمّ أكثر من غيره من المفسّرين بالبحث عن المناسبة بين الآيات، حتّى وجد المناسبات التي صعب على غيره أن يجدها كقوله تعالى في سورة القيامة: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ فإنّ وجه مناسبتها لأوّل السورة وآخرها عسير جدّاً؛ فالسورة كلّها في أحوال القيامة؛[2] والقفّال ربط هذه الآية بآيةٍ سابقةٍ هي قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ قال: يُعرض عليه كتابه؛ فإذا أخذ في القراءة تلجلج خوفاً، فأسرع في القراءة، فيقال له: لاتحرّك به لسانك لتعجل به، إنّ علينا أن نجمع عملك وأن نقرأ عليك، فإذا قرأناه عليك فاتّبع قرآنه بالإقرار بأنّك فعلت، ثمّ إنّ علينا بيان أمر الإنسان وما يتعلّق بعقوبته.[3]

ولا نستبعد أن يكون الشهرستاني قد نقل المناسبات من القفّال، لاعتماده عليه كثيراً في التفسير.

وفي أسباب النزول: يلاحظ أنّ الشهرستاني يذكر كلّ القرائن البعيدة والقريبة. فنرى

---

١. انظر: *الإتقان*، النوع ٦٢. ٢. انظر: *الإتقان* ٢/ ١١٥. ٣. انظر: *التفسير الكبير* ٣٠ / ٢٢٣.

المستهمل

المفسّرين وأصحاب مصنّفات أسباب النزول يذكرون في تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ﴾ السبب المباشر لنزولها، كقول الواحدي: «نزلت في عمر بن الخطّاب ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار أتوا رسول اللّه ـ صلّى الله عليه وآله ـ فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر؛ فإنّهما مذهِبة للعقل مسلِبة للمال؛ فأنزل اللّه تعالى هذه الآية.»[١]

بينما نرى الشهرستاني يذكر كلّ القرائن السابقة التي ترتبط بنزول الآية ليعطي صورة واضحة لسبب نزولها.

وفي بيان الأحكام الفقهية: يتّضح اطّلاع الشهرستاني على الفقه الإسلامي من وجهة نظر المذاهب المختلفة، ويشاهد التركيز على مذهب الشافعي بشكلٍ واضح، وهذا أمرٌ يعود إلى دراسة الشهرستاني على أيدي أئمّة الفقه الشافعي، وعلى رأسهم الفقيه أحمد الخوافي قاضي طوس.

جدير بالذكر أنّ الشهرستاني لايتعرّض لآراء الفقه الشيعي، بل يقتصر على ذكر آراء أئمّة المذاهب الأربعة وخاصّةً أبي حنيفة والشافعي، غير أنّه يشير في بعض المواضع إلى رأي الإمام الصادق، ولكنّه لا يأخذه من مصادر المذاهب الشيعية المعروفة.[٢]

٨. اللغة الفارسية في التفسير

الشهرستاني من شخصيات التواصل بين العربية والفارسية، وتفاعل اللغتين في إطار الحضارة الإسلامية. ذكرنا أنّ الفارسية هي لغته الأمّ، لكنّه كان يكتب بالعربية ويحاضر بها، ولايتوفّر لدنيا أثر له بالفارسية سوى مجلسه المدوّن بخوارزم المترجم إلى العربية في ملحق هذا التفسير. غير أنّ تأثير اللغة الفارسية واضح في ثنايا كتاباته ومنها في هذا التفسير، وأوجز هذا التأثير بمايلي:

١. للشهرستاني أسلوب خاص تتميّز به كلّ مؤلّفاته ومنها هذا التفسير، ورغم تمكّنه من

---

١. *أسباب النزول* / ٣٨.

٢. من ذلك يشير إلى أنّ رأي الصادق في إكمال عدّة رمضان هو صيامه ثلاثين يوماً كاملة، لاينقص عن ذلك، ولايختلف الحال فيه ببلدٍ دون بلدٍ. (الورقتان ٣١١ ب، ٣١٢ آ) ويورد أبو ريحان البيروني هذا الرأي ويكذّبه ويؤكّد أنّه من اختلاقات «فرقة جاهلية.. أخذت بالتأويل.. ونسبوه إلى جعفر الصادق ـ عليه السلام ـ وزعموا أنّها من أسرار النبوّة» *الآثار الباقية* / ٦٤ ـ ٦٥.

المسيرهما

ناصية اللغة العربية وإكثاره من المحسّنات البلاغية، فالتأثير الفارسي في الأسلوب واضح يعرفه كلّ من خبر الأساليب العربية الفصحى، واطّلع على أسلوب الشهرستاني، ويحتاج ذلك إلى دراسة مستقلّة، ليس محلّها هنا في مقدّمة هذا التفسير.

٢. ممّايختصّ بهذا التفسير ضمن إطار التأثّر باللغة الفارسية هو تفسير المفردة العربية على ضوء تشعّب معنى هذه المفردة بالفارسية.

«الخلق» بالعربية هوالإيجاد، لكنّ هذه المفردة يقابلها بالفارسية ثلاث مفردات هي: «آفريدن» و «ساختن» و «فراساختن».

وعلى ضوء هذه المفردات الثلاث يقسم الشهرستاني معنى «الخلق» في تفسيره فيقول:

«وبالفارسية: الخلق: «آفريدن»، الخلق: «ساختن»، الخلق: «فراساختن». فالأوّل إشارة إلى الإيجاد والإبداع، وربمّا يستدعي ذلك مادّة وزماناً، وربّما لايستدعي. فالذي لايستدعي مادّةً منها خُلق هو إبداع محض، كإبداع القلم واللوح أو إبداع العقل الأوّل، فلايستدعي شيئاً سبق وجودَه منه خَلق، وإنّما السابق عليه أمر الباري تعالى، لا على أنّه مادّة له، ولا أنّه في زمان معه.

وأمّا إبداع النفس أو الروح فلايستدعي أيضاً مادّةً منها خُلق، لكنّه يستدعي زماناً هوالدهر، إذخُلق بعد العَقل.

والذي يستدعي زماناً ومادّة فهو سائر الموجودات كالأرض من زَبَد الماء، والسماء من دخان الماء، والماء من الجوهر الأوّل الذي نَظَرَ إليها نَظَرَ الهيبة فأذابها، وذلك هوالعنصر الأوّل.»[1]

يفسّر المفردة العربية أحياناً على ضوء ما يقابلها من مفردة بالفارسية.

اللعن بالعربية يعني الطرد والإبعاد، لكنّه على ضوء مايقابلها بالفارسية من معنى هو: «نفرين» يذهب الشهرستاني إلى تفسير اللعن بأنّه نفي الخلقة الحقيقة عن الملعون، ونفي وجوده الحقيقي، وكانّه يريد أن يقول إنّ الإنسان السائر على طريق اللّه هوالموجود الحقيقي الفاعل في هذا الكون، وأمّا المنحرف عن هذا الطريق فلا قيمة له في ميزان الوجود. يقول:

---

١. الورقة ١٠٦ ب.

«... ثمّ تفسير اللعن بالطرد والإبعاد على طريق التوسّع في العبارة لا على طريق الحقيقة والمطابقة، بل المطابق له بالفارسية: «نفرين» في مقابلة: «آفرين» وهو أن يكون الخلق له خلقاً على الحقيقة، والخلق تفسيره بالفارسية: «آفرينش» و «نفرين» ضدّه، وهو أن يكون خلقيته بالمجاز لا بالحقيقة، كالظلّ للشخص، وكالصورة بالمرآة، فيشبه أن يكون خلقاً وليس بخلق.

ولمّا ظهر من إبليس شرّه من سرّه، لم يبق له وجود على الحقيقة، كوجود آدم ـ عليه السلام ـ وذلك معنى قوله: ﴿وإنّ عَلَيْكَ لَعنَتِي إلىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ وذلك شبه الخلق، والباطل يشبه الحق في الكون الأوّل، ولمّا كان كونه الأوّل إلى يوم الدين، كانت لعنته الموقتة إلى يوم الدين، حتى إذا حان يوم الدين وظهر الدين كلّه لمالك يوم الدين ارتفع عنه الشبه وصار إلى سجّين معذّباً، على أن لايكون له شبه الحقّ البتة، كالذين ماتوا وهم كفّار، فعليهم لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين.

وسرّ آخر فالوجود الحقيقي لمّا كان محصوراً في ثلاثة أقسام: وجود جسماني، و وجود روحاني، و وجود ربّاني منه وجود الجسماني والروحاني. وليس للكافر أحد هذه الوجوه من الوجود، بل كان له شبه الوجود وليس بوجود، كان له: «ناآفرين» كما يقول: «نيست»، أي «نه است»، فلم يكن له وجود ولا عدم محض، ولا حياة ولاموت: ﴿لايَمُوتُ فِيهَا وِلايَحْيَىٰ﴾ فكان عليه لعنة اللّه أي أُبعد من جود وجوده، والملائكة أي إبعاد من وجود روحانيتهم، والناس أي المؤمنين إبعاد من وجود جسمانيتهم، والناس هاهنا المؤمنون الذين هم الناس المعنيون بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ﴾ فهو بعيد الوجود طريد الذات من الوجوه الثلاثة.»[1]

٣. يظهر أنّه في موقفه من تفسير الآية يرجع أحيانا إلى نفسه ليفكّر بلغةٍ فارسيةٍ، و ليبيّن قبوله أوعدم قبوله لهذا التفسير، يظهر ذلك من بعض فلتات لسانه، مثل موقفه من بعض تفاسير الآية الكريمة: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ البِرُّبِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِها وَلِكنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقى وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها﴾.[2]

---

١. الورقة ٢٨٣ آ. ٢. البقرة / ١٨٩.

فما العلاقة بين ذكر «مواقيت للناس والحجّ» وبين «وليس البرّ» يذكر إحدى الإجابات، ثمّ يرفض هذه الإجابة لأنّها لاتعجبه، وسبب عدم إعجابه بالإجابة أنّها لوكانت بين سائل ومسؤول بالفارسية أو بلغة أُخرى لاستُهجنت وما استُحسنت.

يقول: «... وقيل فيه أيضا: إنّه لمّا ذكر الأهلّة وأنّها مواقيت للناس في معاملاتهم ذكر عقيبها بعض محظورات الحجّ ليُعلَم أنّ الأمر فيها على الاتّباع، لا على الابتداع وهذا أيضاً أمرٌ غير معجب، إذليس بين ذكر المواقيت في المعاملات و بين ذكر الاتبّاع في إتيان البيوت من أبوابها و ترك الإتيان من ظهورها مناسبة بوجه من الوجوه، والنظم يستدعي مناسبة المعنى ولوكان مثل هذا بالفارسية أو بلغة أخرى بين متخاطبين سائل و مسؤول لاستهجن ذلك كلّ الاستهجان، وما استحسن كلّ ذلك الاستحسان.»[١]

٤ . يذكر بعض الألفاظ والعبارات الفارسية الواردة في تفاسير أخرى، ولكنّه يذكرها بالشكل الفارسي الصحيح مثل: «يزدان» و «أهر من»[٢] و «بزي هزار سال»[٣] و «بيدخت»[٤] وقد تخلو التفاسير العربية من الكلمة الأخيرة، ويُذكر الاسم العربي لها وهي «الزُّهرة».

٥ . في ثنايا التفسير كلمة «الطوطي»[٥] وهي فارسيّة تعني «الببغاء»، ولم أجدها في معاجم اللغة العربية ضمن الكلمات المعرّبة. فهي من تداخل اللغتين الفارسية والعربية في ذهن الشهرستاني.

٩. مفاتيح الأسرار

المفتاح الأول: الاهتداء بمصابيح الأبرار

الأسرار تمثّل الجانب التأويلي من تفسير الشهرستاني وتشكّل أهمّ أجزاء التفسير كمّاً وكيفاً؛ ويذكر أنّه تلقّاها من خلال «كلمات شريفة عن أهل البيت وأوليائهم رضي اللّه عنهم»[٦]، وقال: «عقبت كلّ آية ممّا سمعت فيها من الأسرار وتوسّمتها من إشارات الأبرار.»[٧]

١. الورقة ٣٢٠ آ من الخطوطة.

٢. الورقة ١١٩ ب من المخطوطة.

٣. الورقة ٢٠٤ ب من المخطوطة.

٤. الورقة ٢١٣ آ من المخطوطة.

٥. الورقة ٢٠٢ آ من المخطوطة.

٦. انظر: *مفاتيح الفرقان* في هذا التفسير.

٧. انظر: *مفاتيح الفرقان* في هذا التفسير.

ويلاحظ أنّه يبتدئ الأسرار بعبارةٍ تدلّ على اقتباسه لهذه الموضوعات، يقول مثلاً: «قال الذي عنده علم من الكتاب»[1] و«قال الذين عندهم علم القرآن»[2] و«قال الموقنون بلقاء اللّه الحافظون لحدود اللّه»[3] وبشأن هذه البدايات يقول في المقدّمة: «وإذا قلتُ «قال أهل القرآن وأصحاب الأسرار» أو الذي شققتُ له اسماً من معنى الآية فلا أريدُ به نفسي عياذاً باللّه، وإنّما أريد الصدّيقين من أهل بيت النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ، فهم الواقفون على الأسرار، وهم المصطفون الأخيار.»[4]

وهذا لايعني أنّه نقل الأسرار بأجمعها دون أن يكون له سهم فيها؛ فهو بعد أن توسّم في نفسه استيعاب مفاهيم *القرآن* يقول: «وجدتُ من نفسي قوّة الهداية إلى كلام النبوّة، وعرفت لسان الرسالة؛ فاهتديتُ منها إلى أسرار كلمات في *القرآن المجيد* دون أن أفسّر *القرآن* برأيي.»[5]

وتتضمّن الأسرار غالباً فهم الآيات وفق قواعد سمّاها مفاتيح الأسرار؛ والأساس الذي تقوم عليه هذه المفاتيح هو إيمانه أنّ فهم *القرآن* خاصّ بأهل البيت.

قال الشهرستاني: «ولقد كانت الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ متّفقين على أنّ علم *القرآن* مخصوص بأهل البيت ـ عليهم السلام ـ، إذ كانوا يسألون عليَّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ: هل خصصتم أهلَ البيت دوننا بشيءٍ سوى *القرآن*؟

وكان يقول: «لا والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة إلّا بما في قراب سيفي هذا» الخبر. فاستثناء *القرآن* بالتخصيص دليل على إجماعهم بأنّ *القرآن* وعلمَه ـ تنزيله وتأويله ـ مخصوص بهم.»[6]

ويقول بعد أن يصف تحيّر المتحيّرين في تفسير *القرآن*: «وإنّما وقع لهم هذا التحيّر لأنّهم ما ارتادوا العلم من بابه، ولم يتعلّقوا بذيل أسبابه؛ فانغلق عليهم الباب، وتقطّعت بهم الأسباب، وذهبت بهم المذاهب حيارى ضالّين؛ ﴿**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ**﴾[7]؛ وآيات اللّه أولياؤه، كما قال تعالى: ﴿**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً**﴾؛ وقد قال ـ عزّ

---

١. الورقة ٨٦ب من المخطوطة. ٢. الورقة ١٠٥ ب.
٣. الورقة ١٤٢ ب. ٤. انظر: *مفاتيح الفرقان*، نهاية الفصل السابع.
٥. راجع مقدّمة الشهرستاني. ٦. الورقة ١ ب من المخطوطة.
٧. الأعراف / ١٤٦.

من قائل ـ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَه الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، ولا كلّ مستنبط مصيب، وإلّا لبطل فائدة «منهم» و«منهم». وأذكر الخبرَ عن النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ: «عليّ منّي وأنا منه»، وقال حين نزلت سورة براءة: «يبلّغها رجلٌ منك.» ...»[1]

وعن ضرورة الرجوع إلى أهل البيت في السؤال نقل الشهرستاني «عن جعفر بن محمّد ـ عليه السلام ـ: أنّ رجلاً سأله فقال: مَن عندنا يقولون في قوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إن كُنْتُمْ لاتَعْلَمُونَ﴾، إنّ الذكر هو *التوارة*، وأهل الذكر هم علماء اليهود فقال: إذن واللّه يدعوننا إلى دينهم، بل نحن واللّه أهل الذكر الذين أمرَ اللّهُ تعالى بردّ المسألة إلينا. وكذلك نُقل عن عليّ ـ رضي اللّه عنه ـ أنّه قال: نحن أهل الذكر.»[2]

«وروي أنّ أباذرّ الغفاري ـ رضي اللّه عنه ـ شهد الموسم بعد وفاة رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ، فلمّا احتفل الناس في الطواف وقف بباب الكعبة وأخذ بحلقة الباب ونادى: «أيّها الناس» ثلاثاً. فاجتمعوا وأنصتوا. ثمّ قال: مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا أبوذرّ الغفاري أحدّثكم بما سمعتُه من رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ سمعتُه حين احتضر يقول: إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي، وإنّهما لم يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوضَ كهاتين، وجمع بين إصبعيه المسبحتين من يديه وساوى بينهما، ولا أقول كهاتين، وقرن بين إصبعه الوسطى والمسبحة من يده اليمنى؛ لأنّ إحداهما تسبق الأخرى. ألا وإنّ مَثَلَها فيكم مَثَلُ سفينة نوح مَن ركبها نجا ومَن تركها غرق.»[3]

ونلاحظ في كتابه *الملل والنحل* مايشير إلى مكانة أهل البيت في فكر الشهرستاني وما عندهم من «أسرار» يفيضونها على الموالين لهم. يقول عند ذكر الإمام السابع من أئمّة أهل البيت، جعفر بن محمّد الصادق ـ عليه السلام ـ: «وهو ذو علم غزير في الدين، وأدب كامل في الحكمة ، وزهد بالغ في الدنيا، وورع تامّ عن الشهوات؛ وقد أقام بالمدينة مدّةً، يفيد الشيعة المنتمين إليه، ويفيض على الموالين له أسرار العلوم، ثمّ دخل العراق وأقام بها مدّةً، ما

---

١. الورقة ٢٦ آ من المخطوطة.

٢. الورقة ٢٦ ب من المخطوطة.

٣. الورقة ٢٦ ب و٢٧ آ من المخطوطة.

تعرّض للإمامة قطّ (المقصود طبعاً الإمامة السياسية) ولانازع أحداً في الخلافة قطّ؛ ومَن غرق في بحر المعرفة لم يطمع في شطّ؛ ومَن تعلّى إلى ذروة الحقيقة لم يخف من حطّ» ثمّ يذكر الشهرستاني أقوالاً عن الصادق لها علاقة بمفاتيح الأسرار قال: «هذا قوله في الإرادة: إنّ اللّه أراد بنا شيئاً، وأراد منّا شيئاً؛ فما بالنا نشتغل بما أراده بنا عمّا أراده منّا؟! وهذا قوله في القدر: هو أمر بين أمرين لاجبر ولا تفويض . وكان يقول في الدعاء: اللّهمّ لك الحمد إن أطعتك ، ولك الحجّة إن عصيتك؛ لاصنع لي ولا لغيري في إحسان، ولاحجّة لي ولا لغيري في إساءة.»[١]

وفي ثنايا تفسيره يؤكّد مفاهيم الارتباط بين *القرآن* والعترة، ويقف ـ على سبيل المثال ـ عند قوله تعالى: ﴿**يَتْلُونَهُ حقَّ تِلَاوَتِهِ**﴾ ويرى أنّ تلاوة *القرآن* حقّ تلاوته مخصوص بأحد الثقلين (أهل البيت)، وحقّ التلاوة يربطه بالأسرار، ويذكر هذه الأسرار بأسلوب ينمّ عن امتلائه بالرضا والانشراح يقول:

«قال الذين يتلون الكتاب حقّ تلاوته: إنّ تلاوة *القرآن* من تِلوِ *القرآن* يصحّ، وكذلك كلّ كتاب أُنزل من السماء فله تِلوٌ يتلوه حقّ تلاوته، وذلك أنّ الكتاب لاينطق بلسانه، ولا يبيّن لكلّ أحد بنفس بيانه، ولو كان كذلك لكان جائزاً أن ينزل كتاب ويوكّل بيانه إلى كلّ مَن يتولّى بيانه، بل له مبيّن خاصّ معيّن كما قال: ﴿**وَأَنزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾، لا ليتبيّن للناس. وكما أنّ موسى ـ عليه السلام ـ كان تلو *التوراة* وعيسى ـ عليه السلام ـ كان تلو *الإنجيل*، ولم يتركاهما (٢٣٩آ) هملاً في ما بين الأمّة يتصرّف في ظاهرهما وباطنهما كلّ مَن عرف اللغة السريانية برأيه، بل وَكلا أمرهما إلى حامل مطيق بأعبائه، كذلك المصطفى ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ تلو *القرآن* وقال تعالى: ﴿**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ فإليه تبيين المنزل، وتفصيل المجمل، والتمييز بين الحقّ والباطل؛ ولم يتركه هملاً سدى فوضى بين الناس، شورى بين العامّة، يتصرّف في ظاهره وباطنه وتنزيله وتأويله كلّ مَن عرف اللغة العربية برأيه، بل وَكل أمره إلى أحد الثقلين، حامل مطيق بأعبائه، ناقل حقائق بإعلانه وإعلائه، وقال فيه: «إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب اللّه

---

١. *الملل والنحل* (بدران) ١ /١٤٨.

وعترتي ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا وإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض» فهم الذين آتيناهم الكتاب حقّاً وغيرهم ما آتيناهم حقّاً، وهم الذين يتلونه حقّ تلاوته يعرفونه حقّ معرفته، وهم الذين يؤمنون به حقّاً، يعرفون حلاله فيحلّونه ويعرفون حرامه فيحرّمونه.

وحقّ التلاوة على وجوه: منها صحّة إخراج الحروف من مخارجها، ومنها صحّة وضع الألفاظ على مواضعها، ومنها صحّة نظم المعاني على طرائقها، ومنها الوقوف على أسرارها من الحروف والأصوات أوّلاً ومن الألفاظ والكلمات ثانياً ومن المعاني والآيات ثالثاً، فيميّزون بين المحكمات منها والمتشابهات، وبين العمومات منها والخصوصات، وبين المفروغات منها والمبتدآت، وبين المشروعات منها ظاهراً والمقدّرات باطناً، وبين المقضيّات منها في المبادئ وبين المحكومات في الكمالات، إلى غير ذلك من علوم لم تُتنسَّم بعد نَسائمهما، وأسرار لم تفترعها الأفكار؛ فلا عين رأتها ولا أُذن سمعتها ولا خطر على قلب بشر:

وإنّ بمسقط العلمين ماءً   نميراً دونه ظلٌّ ظليلُ
جَمام ليس لي فيهنّ ريّ   وظلٌّ ليس لي فيه مَقيل»[1]

المفتاح الثاني: تشخيص الخاصّ

يقول الشهرستاني في الفصل التاسع من مفاتيح الفرقان: «ما من لفظٍ عامٍّ في *القرآن* إلاّ ودخله التخصيص، وما من تخصيصٍ إلاّ وقارنه التشخيص.»[2]

موضوع العموم والخصوص معروف لدى علماء القرآن «وأمّا تشخيص المخصوصات فممّا أغفلها كثير من أهل العلم.»

ثمّ يذكر الشهرستاني في هذا الفصل أمثلة من هذا التشخيص. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ خطاب عامّ لجميع الناس، ثمّ يُخصّص بالمكلّفين، ثمّ يُشخّص بقوله: ﴿مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ بالهداة المهديّين، وقد يخصّص من هؤلاء الأشخاص شخص واحد هو النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ بقوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾.

---

١. الورقة ٢٣٩ آ. ب.   ٢. الورقة ١١٩ آ.

ويذكر التخصيص والتشخيص في «الرحمة» وفي «العبودية».

ويظهر أنّ اهتمامه بالتشخيص واتّخاذه محوراً من محاور أسراره يقوم على أساس مدرسةٍ تفهم أنّ إسلام الفرد والمجتمع لايتمّ إلاّ بتولّي أولياء اللّه وخاصّة الرسول وآل بيته، والبراءة من أعدائهم، وهي مدرسة تقابل التيار الأموي الذي حاول أن يلغي هذا المفهوم ويعتّم على مفهوم التولّي والتبرّي.

يقول في ذكر أسرار الآيتين ١٦٥ و١٦٦ من سورة البقرة: «قال المؤمنون الذين هم أشدّ حبّاً للّه: إنّ الدين هو الحبّ في اللّه والبغض في اللّه فالمؤمنون لمّا كانوا في موالاة النبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ والحبّ له إلى غاية، يبذلون أرواحهم على محبّته والذبّ عن دينه، يحاربون في رضاه أسرتهم، ويقطعون في إحياء دينه أرحامهم، ويبذلون أموالهم وأنفسهم في سبيل اللّه، فهم أشدّ حباً للّه، وفي الخبر: «مَن أحبّ أهل بيتي فقد أحبّني، ومن أحبّني فقد أحبّ اللّه». فيثبت أنّ حبّ اللّه حبُّ رجل من أولياء اللّه، ومَن اتّخذ من دون اللّه ـ إمّا أصناماً ينحتونها بأيديهم فيعبدونها، وإمّا أشخاصاً ينصبونها بآرائهم فيتولّونها، فيحبّونهم كحبّ اللّه، ويوالونهم كموالاة أولياء اللّه ـ وذلك في الأوّل يتشابهان، أمّا في الآخر: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ فهما يتباينان ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ فإنّ أنساب المؤمنين ووصلاتهم تتأكّد في القيامة وأسباب الكافرين ووصلاتهم تنقطع يوم القيامة.»[1]

فحبّ اللّه يتشخّص بحبّ رسول اللّه، وحبّ رسول اللّه يتشخّص بحبّ أهل بيته؛ وإذا كان المؤمن يتشخّص بهذا الحبّ، فإنّ المنافق يتشخّص ببغض أولياء اللّه؛ ويروي الشهرستاني في ثنايا تفسيره مراراً حديث سعيد بن المسيب: «ما كنّا نعرف المؤمنين والمنافقين في زمن رسول اللّه إلاّ بحبّ عليّ وبُغضه.»[2]

ويظهر موقف الشهرستاني من التيار الأموي بوضوح حين يتناول عبادة العجل في هذه الأمّة كما ظهرت في بني إسرائيل ويرى أن هذه العجال تشخّصت في هذه الأمّة بيزيد بن معاوية، يقول: «وكذلك ظهرت في هذه الأمّة فتن في عبادة العجال.. وكما أُمر عبدة العجل بقتل أنفسهم ـ على ماحُكي في القصّة ـ كذلك أنزل اللّه سخطه على عبدة العجال في هذه

١. الورقة ٢٨٩ آ، ب. ٢. الورقة ٦٦ ب.

الأمّة حتّى قُتل في ساعة من نهار سبعون ألفا من قتلة الحسين ـ رضي الله عنه ـ وهم عاكفون على عبادة يزيد ـ زاده اللّه عقاباً في النار ـ وتلك السحابة السوداء بعد باقية حتّى يبلغ الكتاب أجله.»[١]

وفي أسرار الآية ١٥٨ من سورة البقرة يورد مفاهيم في التشخيص على غاية من الأهمية في موضوعها منها:

أنّه ما من شعيرةٍ من شعائر الإسلام إلاّ وهي سنّة من سنن أنبيائه وأوليائه ـ عليهم السلام ـ وما من سنّةٍ إلاّ وهي في مقابلة رجل من رجاله وشخص من أوليائه.

ومنها أنّ الحنيفية تعظيم الرجال.

ومنها أنّه ما من مَشْعرٍ في الحرم إلاّ وهي شعيرة وعلامة على سرّ دفين [وإلّا] فيكون الطواف والسعي والوقوف بعرفات والرمي وأعمال الحجّ كلّها على خلاف المعقول؛ وهي بأسرها إذا رُبطت بأشخاص فهي أعمال أشخاص، وأعمالهم أشخاص؛ فهي المعقولات حقّاً والمحسوسات حقيقةً وصدقاً.[٢]

ويلاحظ أنّ الشهرستاني في تشخيصه الخاصّ يتحاشى ما وقعت فيه بعض الفرق المنحرفة التي تركت كلّ أحكام الإسلام وقالت «إنّ الدين طاعة رجل» وأوّلت «الأركان الشرعية من الصلاة والصيام والزكاة والحجّ وغير ذلك على رجال.»[٣] فيقول: «وفرق بين قولنا الحجّ والعمرة رجل، والقول بأنّ الحجّ والعمرة يضاهيان رجلين.» وهذا التفريق موجود في النصوص الواردة عن أئمّة أهل البيت؛ ونذكر هنا نصّاً نقله المجلسي عن *بصائر الدرجات*، وذكره الشهرستاني في مقدّمته، يوضّح الفرق بين التشخيص الصحيح والمنحرف؛ والنصّ للإمام الصادق ـ عليه السلام ـ في جواب رسالةٍ بعثها إليه المفضّل ذكر فيها: «إنّ قوماً يزعمون أنّ الدين إنّما هو معرفة الرجال، ثمّ بعد ذلك إذا عرفتهم فاعمل ماشئت؛ وأنّهم يزعمون أنّ الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحجّ والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام هو رجل، وأنّ الطهر والاغتسال من الجنابة هو رجل، وكلّ

---

١. الورقة ١٥٥آ. ٢. انظر: الورقة ١٢٨٠آ.

٣. *الملل والنحل* (بدران) ١ / ١٣١ ـ ١٣٢، وهم الكيسانية.

فريضةٍ افترضها اللّه على عباده هو رجل؛ وأنّهم ذكروا ذلك بزعمهم أنّ من عرف ذلك الرجل فقد اكتفى بعلمه به من غير عمل، وقد صلّى وآتى الزكاة وصام وحجَّ واعتمر واغتسل من الجنابة وتطهّر وعظّم حرمات اللّه والشهر الحرام والمسجد الحرام» إلى آخر الرسالة وهي طويلة.

ويذكرها الإمام في مقدّمة رسالته الجوابية، ثمّ يجيب عليها الصادق ـ عليه السلام ـ بالتفصيل، ويتبيّن من الجواب أنّ «تشخيص الخاصّ» صحيح، ولكن الأمر اشتبه على هؤلاء فوقعوا في الشرك؛ وممّا جاء في الجواب: «أخبرك أنّه مَن كان يدين بهذه الصفة التي كتبت تسألني عنها فهو مشرك باللّه ـ تبارك وتعالى ـ بيّن الشرك لاشكّ فيه؛ وأخبرك أنّ هذا القول كان من قومٍ سمعوا ما لميعقلوه عن أهله، ولم يعطوا فهم ذلك، ولم يعرفوا حدّ ما سمعوا؛ فوضعوا حدود تلك الأشياء مقايسةً برأيهم ومنتهى عقولهم، ولم يضعوها على حدود ما أُمروا كذباً وافتراءً على اللّه ورسوله، وجرأةً على المعاصي؛ فكفى بهذا لهم جهلاً، ولو أنّهم وضعوها على حدودها التي حُدّت لهم وقبلوها لم يكن به بأس، ولكنّهم حرّفوا وتعدّوا وكذبوا وتهاونوا بأمر اللّه وطاعته.»

«وأخبرك أنّي لو قلت: إنّ الصلاة والزكاة وصوم شهر رمضان والحجّ والعمرة والمسجد الحرام والبيت الحرام والمشعر الحرام والطهور والاغتسال من الجنابة وكلّ فريضةٍ كان ذلك هوالنبيّ ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ الذي جاء به من عند ربّه لصدقت؛ لأنّ ذلك كلّه إنّما يعرف بالنبيّ، ولولا معرفة ذلك النبيّ والإيمان به والتسليم له ما عُرف ذلك.»

«ولم يبعث اللّه نبياً قطّ يدعو إلى معرفةٍ ليس معها طاعة في أمر ونهي، فإنّما يقبل اللّه من العباد العمل بالفرائض التي افترضها اللّه على حدودها مع معرفة مَن جاءهم به من عنده ودعاهم إليه؛ فأوّل ذلك معرفة مَن دعا إليه، ثمّ طاعته في ما يقرّبه بمَن الطاعةُ له، وإنّه مَن عرف أطاع ، ومَن أطاع حرّم الحرام ظاهره وباطنه، ولايكون تحريم الباطن واستحلال الظاهر، إنّما حرّم الظاهر بالباطن، والباطن بالظاهر معاً جميعاً.»[1]

---

١. بحارالأنوار ٢٤ / ٢٨٦ ـ ٢٩٨.

المفتاح الثالث: المفروغ والمستأنف

يشرح الشهرستاني في الفصل العاشر من *مفاتيح الفرقان* بعض مفاتيح الأسرار، ومنها المفروغ والمستأنف. لا نريد هنا أن نشرح هذا المصطلح فقد أوضحه الشهرستاني في الفصل المذكور كما أوضحه في مجلسه المنعقد بخوارزم باللغة الفارسية [١]، بل نكتفي بالقول: إنّ الشهرستاني يرى أنّ في الكون عالَمين وحُكمَين: عالَماً كامِلاً منتهياً هو المفروغ، وعالماً ناقصاً متّجهاً نحو الكمال هو عالم المستأنَف؛ وأولئك الذين خالوا أنّ العالم كلّه مفروغ وقعوا في الجبر، والذين ظنّوا أنّ العالم بأجمعه مستأنف انحرفوا إلى القدرية والتفويض؛ وليس الأمر هذا ولا ذاك وإنّما هو أمر بين أمرين.

بعض الآيات القرآنية والمفاهيم الكونية التي توحي معنى الجبر يفسّرها الشهرستاني على أنّها من مقولات عالم المفروغ، والتي تفيد معنى التفويض يفسّرها على أنّها من عالم المستأنف.

والشهرستاني بهذا المفتاح يحلّ مشكلة كبرى في الفكر الإسلامي ترتبط بالجبر والتفويض، وهي التي انقسم فيها الأشاعرة والمعتزلة؛ وصاحبنا يردّ على المعتزلة في كتابه *نهاية الإقدام* [٢] على أساس المدرسة الأشعرية غير أنّه هنا يردّ على الأشاعرة والمعتزلة استناداً إلى نظرية المفروغ والمستأنف.

يقول على سبيل المثال في بيان نسبة الهداية والإضلال إلى اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ: «قال المهتدون الهادون إلى صراط اللّه: إنّ مَن لم يبصر الحُكمين ولم يَر حكمَ الكونين (المقصود كون المفروغ وكون المستأنف) ضلّ في كلّ مسألةٍ حتّى في الإضلال والهداية المضافين إلى اللّه تعالى وإلى *القرآن* وإلى ضرب الأمثال في الكتاب وإلى الرسل وإلى العقول؛ وكذلك العموم والخصوص في الهداية والإضلال؛ وكذلك ما هو واقع في القدر بالمقصود والذات، وما هو واقع بالتبع والعَرض، وما هو معلّل بعلّةٍ، وما هو غير معلّل. ثمّ الحاكم بهذه الأحكام حاكم الشريعة حتّى يطلب التسليم فقط من غير طلب العلّة في كلّ شيء أو حاكم القيامة حتّى يطلب البصيرة ويطلب العلّة في كلّ شيء؛ وهذه أمور لا يهتدي إلى أبوابها إلّا الهادون

---

١. راجع ترجمة المجلس في الملحق.

٢. انظر: *نهاية الإقدام* ٦٨ ـ ٨٩.

المهديّون بكتاب اللّه على صراط اللّه. فقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً﴾ إشارة إلى حكم المفروغ، وقوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إلاّ الفَاسِقِينَ﴾ إشارة إلى حكم المستأنف؛ وكلا الحكمين حقٌّ؛ والحكم بأحدهما دون الثاني باطل؛ وقد عرفت أنّ المفروغ يظهر بالمستأنف وأنّ المستأنف يصدر من المفروغ؛ وبطل قول فريقَي الجبر والقدر والإجبار والتفويض. فعلى حكمٍ: أضلّهم ففسقوا، وعلى حكمٍ: فسقوا فأضلّهم. فسقٌ صدر عن إضلال، وإضلالٌ صدر عن فسق. هذا تقرير الحكمين في الآية.»[1]

وبهذا المفتاح يحلّ المؤلّف مسائل الختم والطبع والإقفال،[2] والجنّة التي سكنها آدم[3]، واليقين واليأس تجاه نصرة اللّه سبحانه،[4] وغيرها من المسائل التي ترتبط بعلاقة الإنسان بخالقه.

المفتاح الرابع: التضادّ والترتّب

تقوم فكرة «التضادّ» في مفاتيح الشهرستاني على أساس طبيعة البشر. فهم ليسوا سواء، ففيهم «الأخيار والأشرار، والأولياء والأعداء، والمؤمنون والكفّار، والأبرار والفجّار» وهذا التضادّ مستمرّ في حياة البشر «مادام التخاصم بين الحقّ والباطل، والمحقّ والمبطل موجوداً، وكان أحكم الحاكمين حاكماً بينهما.»[5]

وهذا التضادّ قائم في «الموجودات» وقائم أيضاً في «الأمريات»، وليس التضادّ بين الأشياء مقصوراً على تضادّ الحركة والسكون، والاجتماع والافتراق، والحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، والسواد والبياض، والحلاوة والمرارة، واللين والخشونة، ولا مقصوراً أيضاً على مثل العلم والجهل، والقدرة والعجز، والإرادة والكراهة، والكلام والسكوت، والعمى والإبصار، والصمم والسمع، ولا أيضاً مقصوراً على مثل الحياة والموت، والحيوان والجماد، والملائكة والشياطين، ولكن أكثر التضادّ في *القرآن المجيد* وعلى لسان الأنبياء ـ عليهم السلام ـ: التضادّ بين مثل ومثل، كأمر وأمر، وكلمة وكلمة، وعقل وعقل، ونفس ونفس، وطبيعة وطبيعة، وفطرة وفطرة، إلى غيرها من المتماثلات من حيث الصورةُ والشكلُ والاسم، والمتباينات من حيث المعنى والجوهر والحقيقة.

---

١. الورقة ٩٨ آ. ٢. انظر: الورقة ٦٣ آ. ٣. انظر: الورقة ١٢٥ ب.

٤. انظر: الورقة ٣٤٨ ب. ٥. الورقة ٢٢ ب.

ومؤدّى هذه الفكرة التفريقُ بين فئتين يشتركان في مساحة ويفترقان في مساحة أُخرى، «وحكم الشريعة مبني على موضع الاشتراك، وحكم القيامة مبنيٌّ على موضع الافتراق.» التفريقُ بين المؤمنين والمنافقين.

لكن الأنبياء ربّما حكموا بأحكام القيامة، «كما حكم داود ـ عليه السلام ـ بثلاثة أحكام من أحكام القيامة، وحكم موسى في السامري وأصحابه بأحكام القيامة، إذ لم يقتل قومهم حتّى قتلوا أنفسهم؛ وجرى في عيسى من أحكام القيامة كثير؛ وكذلك في *القرآن* أحكام كثيرة من أحكام القيامة. قال اللّه تعالى: **﴿وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنهُمْ مَاتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾**. وقد أمر ـ عليه السلام ـ يوم الفتح بقتل جماعةٍ هم أحد عشر نفساً. قال: «اقتلوهم وإن رأيتموهم متعلّقين بأستار الكعبة»؛ فهرب بعضهم وتوارى واختفى بعض، وتُشفع في بعض، وقُتل بعض؛ وكثيرٌ من المنافقين لن تُقبل توبتهم وأولئك هم الضالّون؛ ومن المنافقين مَن أظهر حاله لحذيفة بن اليمان؛ ومنهم مَن أظهر حاله بحبّ عليّ وبغضه، فقال: «لا يحبّك إلّا مؤمن تقيّ ولا يبغضك إلّا منافق شقيّ». ومنهم مَن أخفى حاله غايةَ الخفاء، يعاشره معاشرةَ الوليّ الحميم: **﴿فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾** وحديث: «بئس أخو العسيرة ونعم أخو العشيرة»، معلوم مشهور.»[1]

وبفكرة التضادّ هذه يفسّر الشهرستاني كثيراً من أحداث التاريخ في عصر النبوّات وفي عصر النبوّة الخاتمة، وكثيراً من نصوص *القرآن* والسنّة.

وأمّا «الترتّب» فيقوم على فكرة تفاضل الناس في مراتبهم، ولعلّ مؤدّى هذه الفكرة هو التأكيد على علوّ مرتبة الأنبياء والأولياء وتفوّقهم على غيرهم من البشر، وأنّ العقول متفاوتة في تلقّي رسالة الأنبياء «وليس كلّ إنسانٍ يستعدّ لكلّ علم، وإنّما العلم بمقادير العقول واستعداداتها للأنبياء ـ عليهم السلام ـ»[2] كما يمكن أن يكون مؤدّاها الردّ على مَن قال إنّ البشر متساوون في قدرتهم العقلية على إدراك الحُسن والقبح، وهو رأي المعتزلة.[3]

والترتّب والتفاضل من عناصر الحياة، والتساوي لا يوجد إلّا في المقابر «فلا يكون

---

١. الورقة ١٧٨آ. ب. ٢. الورقة ٢٧٣آ.

٣. انظر: *علم الكلام* (أبو الوفا التفتازاني) ص ١٥٦ ـ ١٥٧.

التساوي إلاّ حيث الظلمة، ظلمة العدم؛ ولا يكون الترتّب والتفاضل إلاّ من حيث النور، نور الوجود.»[1]

ولا تفوت الشهرستاني فرصة في الحديث عن الترتّب والتفاضل دون أن ينوّه بمكانة الأنبياء والأولياء في المدرسة الإسلامية، ففي أسرار الآية ٢١٢ من سورة البقرة. يذكر مكانة الأنبياء ضمن إطار التفاضل والترتّب بين البشر، يقول: «وسرّ آخر: أنّ اللذّات الحسّية مزيّنة في صدور مَن وقف على المحسوسات؛ ومَن تعلّى إلى ذروة المعقولات سخر من الواقفين على المحسوسات، وكذلك مَن تعلّى إلى ذروة الكلمات التامّات والحروف القدسيات سخر من الواقفين على المعقولات؛ وكما أنّ المؤمنين فوق الكافرين بالرتبة كذلك الأنبياء فوق المؤمنين بالرتبة إلاّ أنّ تلك الفوقية في جانب التضادّ وهذه الفوقية في جانب الترتّب، قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمّا يَجْمَعُونَ﴾ وتلك الرحمة هي النبوّة والولاية.»[2]

وفي أسرار تعيين القبلة يذكر ضمن هذا الإطار أيضاً مكانة أميرالمؤمنين عليّ ـعليه السلام ـإذ يقول: «وسرّ آخر: تعيين جهة القبلة كتعيين شخص للإمامة، وكما كانت الجهات متساوية بوجهٍ ومتفاضلةً بوجهٍ كذلك الأشخاص متساوية بوجهٍ ومتفاضلة من وجهٍ. فمن حيث كون الجهات متساوية: ﴿فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ﴾، ومن حيث كون الجهات متفاضلة: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾، كذلك من حيث كون الأشخاص متساوية «أقيلوني فلستُ بخيركم» ومن حيث كون الأشخاص متفاضلة: «سلوني عمّا تحت الخضراء وفوق الغبراء»، «ولقد علموا أنّ محلّي منها محلّ القطب من الرّحى.»[3]

المفتاح الخامس: الخلق والأمر

يقرّر الشهرستاني في كتابه *الملل والنحل* أنّ كلّ نبيٍّ يكمل شريعة النبيّ السابق، «بحيث يكون مصدِّقاً كلّ واحد ما بين يديه من الشرائع الماضية، والسنن السالفة، تقديراً للأمر على الخلق، وتوفيقاً للدين على الفطرة» وهذا من «خاصية النبوّة، لايشاركهم فيها غيرهم، وقد

---

١. الورقة ٢٤ آ.　٢. الورقة ٣٤٦ آ.　٣. الورقة ٢٦٧ ب.

قيل: إنّ اللّه ـ عزّوجلّ ـ أسّس دينه على مثال خلقه ليستدلّ بخلقه على دينه، وبدينه على خلقه.»[١]

هذا القول الأخير «إنّ اللّه ـ عزّوجلّ ـ أسّس دينه» ينسبه في مكان آخر من تفسيره إلى الإمام الصادق[٢] ـ عليه السلام ـ، ويذكره أيضاً في مجلسه المدوّن بالفارسية بخوارزم، وينسبه إلى سليل النبوّة، دون ذكر اسم الإمام؛[٣] ويعتبر هذا القول أساس فكرة «الخلق» و «الأمر».

وفي الفصل العاشر من مفاتيح الفرقان يذكر الآيتين: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ و ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾، ويرى أنّ «ميزان العالمين لايكون قرين السماء، ولا قرين الكتاب، بل الميزان الموضوع في اقتران السماء المرفوعة، هو كالأمر في إقران الخلق، وكالكلمة الطيّبة في اقتران الشجرة الطيّبة، وكقول: لا إله إلّا اللّه في اقتران قول: محمّد رسول اللّه، وكذلك الميزان الموضوع في اقتران تنزيل الكتاب بالحقّ، وهو كاقتران ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ حتّى إذا كان الموزون من الأمريات والشرعيات كان ميزانه الخلق والخلقيات، وإذا كان الموزون من الخلقيات كان ميزانه من الأمريات.»

وما يستخلصه الشهرستاني من هذه القاعدة ـ كما هو ملاحظ في تفسيره ـ هو: ثمّة ساحتان في الكون: ساحة طبائع الموجودات، وهي محلّ عمل الملائكة، وساحة عقول المكلّفين، وهي محلّ عمل الأنبياء؛ فإن استقامت الحركات الطبيعية على نهج تصريف الملائكة استقامت الصورة الإنسانية في هذا العالم، وإن استقامت الحركات الاختيارية على نهج تكليف الأنبياء استقامت النفس الإنسانية في ذلك العالم، وتحصيل السعادة في الدارين يتوقّف على الإيمان باللّه تعالى وملائكته ورسله.[٤] بعبارةٍ أُخرى سعادة الإنسان تتوقّف على الانسجام في رؤيته الكونية بين الطبيعة والشريعة، أو بين الخلق والأمر.

ومن نتائج هذه القاعدة أيضاً تطابق العقلِ مع النبوّة؛ فالعقل من مقولة «الخلق»، والأمر إذن مصدر العقل، والعقل مظهر الأمر، والعقل مخلوق ومأمور.[٥]

---

١. *الملل والنحل* (بدران) ١/٤٥.
٢. الورقة (٣٨ ب).
٣. انظر الملحق ـ ١. في نهاية هذا التفسير.
٤. انظر: الورقة ٤٣١ ب من هذا التفسير، مجلسه المترجم في ملحق هذا التفسير.
٥. انظر: *رسالة الخلق والأمر*. مجلس مترجم في الملحق.

وهو بعد أن يذكر آراء المتكلّمين في علاقة الأمر بالخلق، يردّ عليها جميعاً، ويرى أنّ الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ وضّح هذه العلاقة فيقول: «لا، لا، بل قل كما قال رجل الكتاب وصنو الكتاب: له الخلق ملكاً، وله الأمر ملكاً، الأرواح ملكه، والأجساد ملكه؛ فأحلّ ملكه في ملكه، وله عليها شروط ولها عنده وَعد؛ فإن وفى بشروطه وفى لهم بوعده.» والشرط هو الالتزام برسالة الأنبياء: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.[1]

ويرى في تفسيره أنّ الحكمة هي النبوّة، ومَن تصدّى للحكمة برأيه فقد سفه نفسه وسفه عقله.[2]

والنتيجة الأكثر تأثيراً لهذه القاعدة على تفسير الشهرستاني هي وحدة السنن الكونية في تاريخ الأديان لما بين طبيعة البشر (الخلق) وبين الشريعة (الأمر) من ارتباط؛ وهذا الارتباط يوضحه الشهرستاني في *الملل والنحل* حين يذكر الشبهات التي اعترضت مسيرة الأنبياء، ويستدلّ على رأيه بقوله سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ وبالحديث النبويّ: «لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو القذّة بالقذّة والنعل بالنعل، حتّى لو دخلوا جحر ضبٍّ لدخلتموه.»[3]

وفي تفسيره يقرّر أنّه «ما من قصّةٍ في *القرآن* إلّا و وزانها موجود في هذه الأمّة»، ويرى مثلاً:

أنّ انحراف بني إسرائيل في عبادة العجل، وإقصاء أولياء اللّه عن حقّهم ظهرت في هذه الأمّة متمثّلة في «أحقاد الجاهلية لبني أميّة اجتمعت وظهرت بقتل أهل بيت المصطفى ـ صلّى اللّه عليه وآله ـ الذين هم عيش العلم وموت الجهل.»[4]

وأنّ بني إسرائيل رفضوا ما أراده موسى ـ عليه السلام ـ من تنصيب مستودع هو نائبه عليهم وبابه إليهم، وهو ما تكرّر في هذه الأمّة «ولك أن تطبق الحال على الحال، وتوازن المقال بالمقال في هذه الأمّة، وذلك علم الرجال.»[5]

---

١. انظر: رسالة *الخلق والأمر* في ملحق هذا التفسير.
٢. انظر: الورقة ٤١٧آ.
٣. *الملل والنحل* (بدران) ١/٢٦ ـ ٢٧.
٤. ١٥٤ب، ١٥٥آ.
٥. الورقة ١٦٢آ.

وأنّ اليهود حرّفوا كلام اللّه من بعد ما عقلوه «وفي هذه الأمّة خلف من بعد النبيّ وأصحابه والتابعين بإحسانٍ خلفٌ ورثوا الكتاب بقراءته، ويأخذون الجاه والمال من الملوك الجائرة؛ فيحلّون حرامه، ويحرّمون حلاله، ويقولون: سيُغفر لنا، وكلّ مجتهد مصيب.»[١]

وأنّ «كتابة الكتاب بأيديهم (تحريف الكتاب) ليس مقصوراً على اليهود، وفي هذه الأمّة من مقالات الفرق وأصحاب المقالات بأهوائهم الباطلة قد صنّفوا كتاباً وكتبوا مصنّفات من عند أنفسهم، لم توجد عباراتهم موافقة لعبارات الكتاب والسنّة، بل مطابقة لعبارات الفلاسفة ومدّعي الحكمة.»[٢]

١٠. النسخة الموجودة من التفسير

النسخة الموجودة من تفسير الشهرستاني تتضمّن جزئين في مجلّد واحد وتنتهي بانتهاء تفسير سورة البقرة؛ وهي نسخة وحيدة ـ في ما نعلم وممّا توصلنا إليه بعد بحث وتحقيق ـ محفوظة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي تحت رقم ٧٨/٨٠٨٦ب.

عدد أوراق النسخة ٨٦٤ ورقة، وفي كلّ صفحة ٢٥ سطراً من القطع الكبير (الرحلي) بطول ٣٤ سم وعرض ١٣/٥ سم.

الجزء الأوّل يتضمّن مقدّمةً لتفسير الشهرستاني باسم *مفاتيح الفرقان في علم القرآن* تنتهي في الصفحة ٢٦ ب. ثمّ تفسير سورة الحمد، وينتهي في الصفحة ٤٥ ب، ثمّ تفسير سورة البقرة، وينتهي الجزء الأوّل في الصفحة ٢٤٠ ب. ثمّ يبدأ الجزء الثاني من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ وينتهي الجزء الثاني بانتهاء سورة البقرة كما ذكرنا.

التفسير مكتوب بحبر أسود على ورق شامي والعناوين بحبر أحمر وعلى الغلاف عنوان الكتاب: «*كتاب مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار* في تفسير *القرآن* من تصنيف الإمام الحجّة تاج الملّة والدين، محمّد بن عبدالكريم الشهرستاني، سقى اللّه روضته بشآبيب الغفران وأحلّه أعلى فراديس الجنان.» وتحت العنوان هذه العبارة: «استنسخه لنفسه عبيد اللّه الواثق

---

١. الورقة ١٧٢ ب.　　٢. الورقة ١٨٨ آ.

المسترهيم

بلطفه، إبراهيم بن محمّد بن المؤيّد، أبو المجامع الحموي الجويني [1]، حماه اللّه وهداه ووفّقه لما يُزلِفُه إلى رضاه، وغفر له ولأسلافه، وعافَه عن هَفَواته وإسرافه، وأصلح بفضله أمور دابريه وعفا بكرمه المرتجى عن ذنوب قدّمها بين يديه، بحقّ محمّد وآله الأخيار الأطهار ـ صلى اللّه عليه وعلى آله ـ ما سجى ليلٌ ووضَحَ نهارٌ؛ واتّفق تحرير هذه الأسطر رابع شعبان سنةَ سبعٍ وستّين وستّمائة» ويظهر أنّ السطور المذكورة كتبت بعد تحرير النسخة؛ لأنّ الناسخ ذكرَ في نهاية تفسير سورة البقرة: «تمّت كتابة الكتاب بحمد اللّه وحسن توفيقه في سلخ شهر اللّه الأصم رجب سنةَ سبعٍ وستّين وستّمائة. اللّهمّ اعفُ عن كاتبه محمّد بن محمّد الزانجي.»

وتوحي هذه العبارة أنّ تفسير الشهرستاني ـ أو قُل على الأقلّ التفسير الذي وَقَعَ بيدِ الناسخ ـ لم يكن يزيد على ما في هذه النسخة؛ لأنّه قال: «تمّت كتابةُ الكتاب» ولم يقل: «تمّت كتابة الجزء الثاني.»

أمّا بالنسبة لتاريخ تأليف هذا التفسير فنرى على الجلد هذه العبارة: «اتّفقت بداية هذا التصنيف في شهور سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة» وبعدها عبارة: «نقلتُه من خطّ المصنّف.»

وعلى هامش الصفحة ٢٤٠ (ب) نرى عبارة المؤلّف: «وهذه بداية المجلّدة الثانية من التفسير، اللّهمّ انفعنا بما علّمتنا وعلّمنا ما تنفعنا به بحقّ المصطفى ـ عليه السلام ـ. ختمت المجلّدة في المحرّم سنة أربعين وخمسمائة فتحها اللّه بالخير وختمها بالسعادة» وبعدها عبارة «نسخة الأصل بخطّ المصنّف.»

ثمّ على الصفحة الأخيرة من المخطوطة عبارة للناسخ: «هذه النسخةُ منقولةٌ من الأصل الذي هو بخطّ المصنّف، الإمام العارف بأسرار *القرآن*، تاج الدين الشهرستاني ـ تغمّده اللّه برحمته ـ وكان الأصل في مجلّدين وهذه حكاية..» الباقي محذوف ومعه حذف ـ على

---

١. العالم الصوفي المحدّث، شيخ الإسلام، شمس الدين، أبو إسحاق إبراهيم سعد الدين محمّد بن المؤيّد أبي بكر بن أبي عبداللّه محمّد بن حمويه بن محمّد الجويني الخراساني (٦٤٤ ـ ٧٢٢ هـ) مؤلّف كتاب: *فرائد السمطين*، تلميذ الخواجه نصيرالدين الطوسي انظر: *فهرست ميكرو فيلمهاى كتابخانهٔ مركزي دانشگاه تهران* / ٣٨٥؛ *فهرست كتابخانهٔ اهدائى آقاى سيّد محمّد مشكوة به كتابخانهٔ دانشگاه تهران* ٥ / ١٤٤٠ ـ ١٤٤٢.

الظاهر ـ تاريخ انتهاء المصنّف من تفسيره، والعبارة الأخيرة تؤكّد مرّةً أخرى أنّ ما كان بيد الناسخ إنّما هو هذا المقدار من التفسير لاغير.

١١. منهجنا في التحقيق

ذكرت أنّ النسخة التي اعتمدناها في التحقيق هي ـ فيما نعلم ـ النسخة الوحيدة في مكتبات العالم، و هذه بحدِّ ذاتِها مشكلة في التحقيق، غير أنّه ثمة صعوبات أخرى في المخطوطة أذكرها باختصار لما لها علاقة بالموضوع، و أهمّها:

١. أنّ النسخة مغلوطة الى درجة كبيرة، ويظهر أنّ الناسخ كان لايفهم غالباً مايكتب، و لذلك كان يرسم الكلمات كما يراها، و مثل هذا العمل تعتريه عادة أخطاء كثيرة.

٢. الخطّ سقيم، والتنقيط غير منضبط بقاعدة، فترى نقاطاً زائدة و في غير محلّها، و يسقط التنقيط في مواضع أخرى.

٣. الأخطاء تزداد في ذكر أعلام الأشخاص و في الاستشهاد بالشعر.

٤. في النسخة عبارات زائدة يبدو أن الناسخ كتبها عن صفحات أخرى من نسخة الاصل خطأ، ثم عاد الى مكانه الصحيح.

٥. في النسخة عبارات و مفردات ساقطة.

٦. ثمة بقع ممسوحة أو مقطوعة لدى التجليد.

٧. ويقع أحياناً انتقال فقرات أو صفحة بكاملها من مكانها الى مكان آخر من النسخة.

٨. على هامش النسخة عناوين فرعية مثل: التفسير، المعاني، النحو، القصة و... و هذه العناوين تتكرر مع تفسير كلّ فقرة أو كلمة من الآية و أحياناً تكون هذه العناوين مغلوطة و في غير محلّها، أو إنها تسقط أحياناً، و في ذلك ما لايخفى من الارباك.

٩. يعتمد المؤلف على ذاكرته في عرض الآيات المفسَّرة، أو المستشهَد بها، و ذاكرته تخونه كثيراً، فتقع الاخطاء، أما الأحاديث و الروايات فيوردها مُرْسلة دون ذكر المصدر إلّا نادراً.

١٠. في الأسرار يعتمد على مفاتيح غير شائعة في بقية التفاسير، لذلك يعتريها شيء من الغموض و الصعوبة.

١١. يبيّن الشهرستاني في التفسير أفكاره و آراءه الخاصة. ولايلتزم في ذلك بمدرسة من المدارس الشائعة في زمانه. و في عرض الآيات عبارات موهمة. قد يفهم منها أن الرجل من الغلاة، أو من القائلين بتحريف القرآن. و ليس هو كذلك.

١٢. أسلوب المؤلف خاصٌّ به، و لذلك يحتاج تعرّف العبارات المبهمة في الن... على معرفة بالاسلوب.

و ما فعلناه في هذا التحقيق:

١. راجعنا ماكتبه الشهرستاني من كتب و ماخلّف من رسائل لنتعرّف أسلوبه و طريقة سرده، و الموضوعات التي تشترك مع التفسير في تلك الكتب و الرسائل، فقد ساعدنا ذلك على معرفة ما انبهم من كثير من العبارات المغلوطة.

٢. البقع الممسوحة و الكلمات الساقطة وضعنا في مكانها ما اجتهدنا في معرفتها بين قوسين معكوفين [ ].

٣. الكلمات المغلوطة صححناها، وذكرنا الأصل في الهامش، و ما شككنا في صحته وضعناه كما هو، و أشرنا اليه بكلمة (كذا)، و بيّنّا رأينا في صحيحه في الهامش.

٤. الاخطاء الطفيفة في النسخة مثل اختلاف التنقيط أو سقوط بعض الحروف أشرنا إليها في بدايات التحقيق ثم أعرضنا عن ذلك لكثرتها و لعدم امكان تسرّب الشك الى ما صححناه منها.

٥. صححنا الأعلام و ترجمنا لهم باختصار، من المصادر الموثوقة.

٦. استخرجنا الاحاديث و الروايات من مصادرها ما استطعنا الى ذلك سبيلا.

٧. ذكرنا الآيات المفسّرة كاملة قبل تفسير الآية، و لم يذكرها المؤلف بهذه الصورة.

٨. رتّبنا ما تداخل من الآيات المفسَّرة و ذكرنا ذلك التداخل في الهامش.

٩. العبارات التي يوحي ظاهرها خلاف ما عرفناه من عقيدة المؤلف أوضحنا رأينا فيها في التعليقات.

١٠. العناوين الكثيرة على هامش الآية، حذفنا الزائد، و جمعنا بعضها في عنوان واحد. و أضفنا ما استلزم إضافته، و ذكرنا كل ذلك في الهامش.

۱۱. الموضوعات التي يعتريها بعض الابهام في «الأسرار» أوضحها المؤلّف في مقدمته الى حدٍّ ما، و لمزيد من التوضيح ترجمنا مجلساً للشهرستاني عقده في خوارزم من الفارسية يرتبط بالموضوع و جعلناه في الملحق.

۱۲. لما كان الشهرستاني ينفرد في رواية عن الامام الصادق(ع) بشأن توالي سور القرآن، قارنّا هذه الرواية بنظيراتها المروية عن آخرين، و خرجنا من ذلك بنتائج.

۱۳. أرقام صفحات المخطوطة وضعناها في نهاية استنساخ الصفحة.

١٤. الفقرات و الصفحات التي تغيّر مكانها وضعناها في محلّها مع ذكر ذلك في الهامش.

المسهم

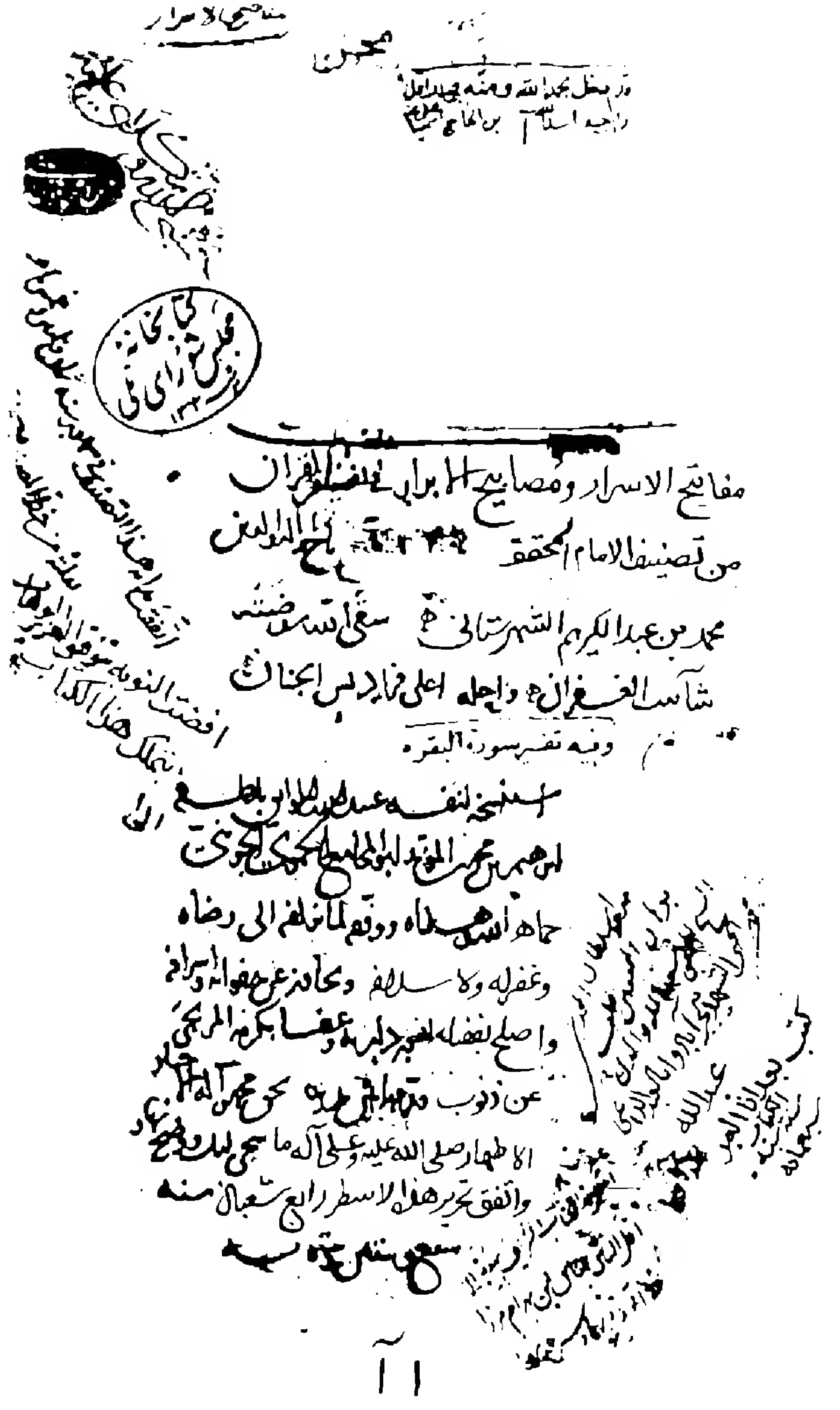

مفاتيح الاسرار ومصابيح الابرار في تفسير القرآن
من تصنيف الامام المحقق ... تاج الدين
محمد بن عبد الكريم الشهرستاني سقى الله ضريحه
شآبيب الغفران واحله اعلى فراديس الجنان
وفيه تفسير سورة البقرة

الاطهار صلى الله عليه وعلى آله ما سجى ليل ...
واتفق تحرير هذه الاسطر رابع شعبان سنة

الصفحة الأولى من مخطوطة

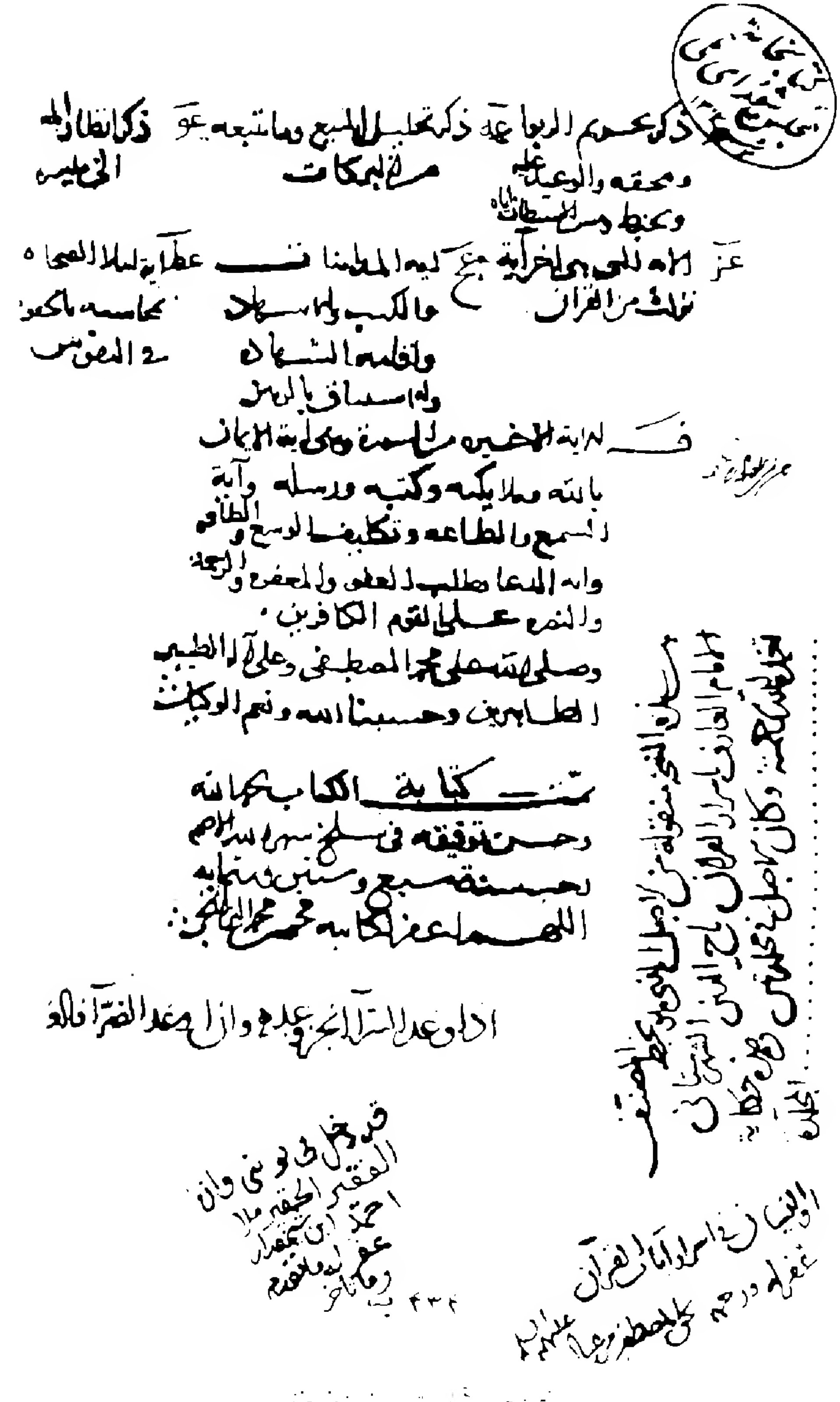

في الآية الأخيرة من سورة البقرة آية الإيمان
بالله وملائكته وكتبه ورسله وآية
السمع والطاعة وتكليف الوسع و الطاقة
وآية الدعاء بطلب العفو والمغفرة والرحمة
والنصر على القوم الكافرين.
وصلى الله على محمد المصطفى وعلى آله الطيبين
الطاهرين وحسبنا الله ونعم الوكيل
تمت كتابة الكتاب بحمد الله
وحسن توفيقه في سلخ شهر الله الأصم
رجب سنة سبع وستين وستمائة
اللهم اغفر لكاتبه محمد بن محمد [illegible]

الصفحة الأخيرة من المخطوطة